# الثقافة الإسلامية

## بين الأصالة ... والتجديد

دكتور

جمال رجب سيدبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إلاَّ ماَ علَّمتنْاَ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعلِيمُ الحَكِيمُ ﴾

«سورة البقرة: ٣٢»

## مقدمة

هذه المجموعة من الدراسات حول الثقافة الإسلامية، حاولت فيها طرح العديد من القضايا والموضوعات التى تهم المسلم المعاصر.

**وفى الفصل الأول:** عالجت موضوع «الإسلام منهج الشمول والتوازن»، وأوضحت أهم معالم هذا المنهج، كما أننى قدمت لموضوع "الغزو الفكرى ومحاولات التغريب فى العصر الحديث" وهو موضوع جدير بالاهتمام عرضت فيه للاستشراق والحركات الهدامة كالأحمدية وغيرها فى فكرنا الحديث.

**وفى الفصل الثانى:** وقفنا على موضوع هام للمثقف المعاصر ألا وهو مشكلات الشباب والحاجات الأساسية له، وأهم المشكلات التى تواجة الشباب مع الإشارة إلى أهم الاقتراحات للاستفادة بطاقة شبابنا الذين نعقد الأمل فيهم.

**أما الفصل الثالث:** سلطت الضوء على قضية تحرير المرأة فى عصر النبوة وكيف أن الإسلام استطاع أن ينصف المرأة، ويعطيها حقها غير منقوص، ولاشك أن قضية المرأة - فيما نعتقد - من القضايا الهامة فى فكرنا المعاصر، لذلك آثرت أن أعرض أيضاً لموقف قاسم أمين ودوره فى الدفاع عن المرأة المسلمة بمنهج نقدى حاولنا أن نسجل للرجل ماله وما عليه، هذا من جانب، ومن جانب آخر، حتى نستطيع أن نوازن ونقارن بين ما قاله قاسم أمين «خاصة فى كتابة تحرير المرأة» وما جاء فى عصر النبوة وبطبيعة الحال، أن مرجعية الحكم على فكر قاسم أمين هو القرآن والسنة وكما قالها مالك بن أنس رحمه الله: «كل يؤخذ

منه ويرد إلا صاحب المقام هذا وأشار إلى قبر النبى صلى الله علية وسلم».

**وفى الفصل الرابع:** عالجت الحضارة الإسلامية، مفهومها، وأهم مقوماتها (الله)، (الإنسان) وكيف أن التصور الصحيح للألوهية وعلاقتها بالإنسان يؤثر تأثيراً إيجابيا فى رقى الحضارات من الناحية المادية والروحية على حد سواء. كما أننا عالجنا أيضاً فى هذا الفصل مظاهر الأخلاق فى حضارتنا الإسلامية، ويقف القارئ مندهشاً أمام هذه القيم الرفيعة فى مسيرة حضارتنا العربية الإسلامية على مر التاريخ وكيف احترم الإسلام الانسان واحترم حقوقه قبل أن تظهر مواثيق حقوق الإنسان فى عصرنا الحديث؛، بقرون طويلة ولذا عالجت معاملة غير المسلمين عبر تاريخ حضارتنا الإسلامية وهى صفحة ناصعة من تاريخ حضارتنا تدل على الفهم الصحيح لحقيقة الإسلام وما أحرانا أن نتلمس ونتأمل مثل هذه القيم السامقة فى حياتنا المعاصرة.

فإذا ما وصلنا إلى الفصل الخامس والأخير عرضت لثلاثة موضوعات الموضوع الأول «المدخل الجمالى وأثره فى تربية الفرد والمجتمع» ولا أشك فى أن المدخل الجمالى من أقرب المداخل تأثيراً فى النفس، وأحسب أن محاولتى مازالت مجرد علامات فى الطريق؛، وهى تفتح الباب أمام الدراسين نحو المزيد من البحث والتمحيص. والموضوع الثانى «رؤية حول قضية الأصالة والمعاصرة» حاولت أن القى الضوء على أبعاد هذه القضية بما يخدم المسلم المعاصر. أما الموضوع الثالث والأخير يدور حول «العولمة .. بين القبول والرفض»، وهو طرح موضوعى لنشأة المصطلح وملابساته وانتهيت إلى طرح البديل «عالمية»

ومن منطلق الفهم الصحيح لعالمية الإسلام.

**وفى النهاية** .. لست بحاجة إلى القول إن هذه الدراسة التى كتبتها حول الثقافة الإسلامية بين الأصالة والتجديد راعيت فيها الجمع بين الاصالة والمعاصرة، وهو المنهج الذى نعتبره أكثر المناهج ملائمة لثقافة المسلم المعاصر خاصة إثر ثورة المعلومات والانفجار المعرفى وثورة الاتصالات، كل هذه الأمور تحتاج إلى معالجات لقضايا ومستجدات العصر بطريقة أصيلة ومعاصرة فى آن واحد ولعل القارئ من خلال قراءته لهذه الصفحات يدرك هذا بنفسه.

وظنى أن هذه الدراسة مازالت بحاجة إلى مجهودات أكثر وأكثر وحسبى أنى وضعت اللبنات الأولى لها، وفى الطريق سنكمل العمل إن قدر وشاء.

**والله هو الموفق للسداد**

**المؤلف**

# الفصل الأول

# الإسلام منهج الشمول والتوازن

الإسلام منهج شامل متوازن، يعالج كافة القضايا التى تهتم بالكون والحياة والإنسان.

ومنهجية الإسلام أو طريقة الإسلام هو أنه حاول أن يضع الأطر العامة لكافة القضايا والموضوعات فى شمولية متوازنة.

بيد أن نفراً من المستشرقين يحاولون أن يعرضوا الإسلام على أنه عقيدة فقط فى النفوس، ولا يشمل كافة جوانب الحياة.

وذهب على نفس الدرب بعض الدراسين المسلمين، ربما يعود إلى عدم المعرفة الصحيحة لهذا الدين.

والسؤال الذى نود أن نطرحة ... ما معنى أن الإسلام منهج شامل متوازن؟

ونود أن نلقى الضوء على عدة أفكار

## أولاً: الإسلام عقيدة وشريعة:

مما لاشك فيه أن الإسلام عقيدة وشريعة وإن كانت العقيدة هى الإيمان القلبى فإن الشريعة هى التطبيق العملى لهذا الدين، ولا انفصال بينهما. أى أنهما وجهان لعملة واحدة فلا شريعة بلا عقيدة وإن كان من الممكن القول بالعقيده دون شريعة إلى حدما.

ولقد عبر القرآن الكريم عن العقيدة «بالإيمان» وعن الشريعة «بالعمل الصالح» وجاء ذلك فى كثير من آياته الصريحة: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا**﴾ آية ١٠٧، ١٠٨ من سورة الكهف، ﴿**من عمل**

صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ الآية ٩٨ من سورة النحل، ﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ سورة العصر، ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ الآية ١٣ من سورة الاحقاف(١).

إذن الشريعة هى هذا التطبيق للعقيدة، فالعقيدة هى الأصل والشريعة هى الفرع، فلا شريعة بدون عقيدة.

وما دام المؤمن قد آمن بهذه العقيدة عن اقتناع، وانفعل قلبه بها، فهو حتما يطبق هذه الشريعة فى ميدان حياته وبناء على ذلك، فالمسلم الصحيح الإيمان هو المؤمن بالأسلام شريعة وعقيدة.

وأما من آمن بالعقيدة، والغى الشريعة، أو أخذنا بالشريعة وأهدر العقيدة لا يكون مسلما عند الله ولاسالكاً فى حكم الإسلام سبيل النجاة(٢).

وليس وليد الصدفه أن يكون ترسيخ العقيدة فى النفوس أشد خطراً من التطبيق العملى للشريعة، لأن العقيدة إذا لم تصل إلى أعماق القلب وتتصل بكافة أوصاله فما كان للشريعة معنى؟ولذا ... نجد أن الرسول -ﷺ- لم يلجأ إلى تطبيق الشريعة فى كافة ميادين الحياة إلا

---

(١) محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة - الناشر دار الشروق الطبعة الثالثة عشر ١٩٨٥ ص.١٠.

(٢) محمود شلتوت، المرجع السابق ص ١١.

بعد أن تعمقت العقيدة وتخمرت فى نفوس أصحابها وأشربت بأرواحهم ونفوسهم.

لقد ظل الرسول صلى الله عليه وسلم يوضح للمسلمين معنى «الوحدانية» طيلة ثلاثة عشر عاماً، ثم بعد ذلك أسس الدولة فى المدينة وطبق فيها الإسلام فى كافة مناحى الحياة.

**العقائد الأساسية فى الإسلام:**

نود أن نشير فى إيجاز اليها:

- الإيمان بالله وحده لاشريك له.
- الإيمان بالرسل.
- الإيمان بالغيب: ، الجنة والنار، والكتاب واليوم الآخر والقدر خيره وشره.. الخ.

ولن نقف طويلا عند هذه العقائد الأساسية، إذ أن هذه الأمور اد بحت لايجهلها المسلم الآن. إذ أن عقيدة التوحيد قامت فى الإسلام على التفرد والتنزية للألوهية، والقرآن الكريم حافل بالآيات القرآنية، والأدلة العقلية، التى تخاطب النفس والعقل معاً وتعطينا الأدلة والبراهين على وجود الله، ولقد جاءت سورة الإخلاص معبرة عن هذه الحقيقة كأبلغ حديث: «قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد».

يرى أحد الدارسين أن مذهبية الإسلام قامت على هذا التوازن، لأن عنول العقلاء، وفطرة قطاعات واسعة من الجماهير، خارج دائرة التدين

بالإسلام، تدرك أكثر فأكثر- وخاصة بعد سقوط وتراجع الأيدلوجيات المادية والوضعية والعلمانية - إن السبيل الإيمانى والنظرة الإيمانية - التى ظل الإسلام رافعاً لأعلامها. هى سبيل «المنفعة - الحقة» و «والسعادة - الحقيقية للإنسان فى هذه الحياة.. وهنا يضيف الإسلام إلى هذا الذى بدأت الإنسانية اكتشافه والاتجاه نحوه .. عنماد يؤكد على أن معيار سعادة الدنيا هو سعادة الأخرة» لأن الوقوف عند سعادة الدينا هو وقوف عند «المادة» و «اللذة» و «الشهوة» أى أنه، من الحقيقة «الخلل» الذى لا علاقة له بالتوازن المنشود؟؛ فالذين لا يعلمون إلا ﴿**ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الأخرة هم غافلون**﴾ الروم آية٧، لابد وأن تكون دنياهم، فقط ﴿**لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً**﴾، الحديد: ٢٠[١].

وينتهى الباحث إلى عمق هذا الدين، عندما يعلمنا أن إقامة العلاقة بين «سنن الله» المبثوثة فى «كتاب الوحى» وبين «سنن الأنفس والآفاق» المخلوقة من الاجتماع الإنسانى، وفى الكون المادى، إنما هى فريضة دينية، وواجب الهى، وتكليف شرعى بدون التزام به يكون الإنسان عاصياً للخالق، وناقضا لعقد وعهد خلافته عن الله فى إقامة العمران البشرى وخائنا للأمانة التى حملها وهو حر مختار ... فالصبغة الاسلامية، والطابع الايمانى، والمعايير الشرعية للعمران الإنسانى، ليست مجرد خيار واختيار محقق للتوازن ومن ثم للمنفعة والسعادة،

---

(١) محمد عمارة: الإسلام والسياسة (الرد على شبهات العلمانيين) سلسلة البحوث الاسلامية ١٩٩٢م، ص ٣٠.

وإنما هى تكاليف وفرائض وواجبات دينية لايصح الإيمان الدينى بإنكارها وجحودها، ولا يكتمل بتعطيلها ... إنها عبادة المخلوق للخالق فى شئون العمران البشرى، كما أن الصلاة والصوم -وغيرهما من التكاليف الفردية- هى عبادة المخلوق للخالق بها تؤدى شعائر التكاليف الدينية[1]!.

## العلم فى الإسلام:

لاريب أن الإسلام ينبهنا على الإحتفاء بعلوم الدين، وعلوم الدنيا، ولايعرف الإسلام هذا الإنفصام بينهما، بل هما عروة وثقى، ولذلك كان هذا المسلك، هو الذى طبقه العالم المسلم كابن رشد الفيلسوف المسلم، فقد كان فقيها وله كتبه الفقهية المشهورة مثل «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وهو يعتبر عمدة فى بابه وكان فى نفس الآن طبيبا وفيلسوفا ... الخ، وغيره الكثير كابن سينا وابن الهيثم. فلم يكن اهتمام ابن رشد بالفقه حائلا عن أن يهتم بعلوم الدين كالطب وغيره، وهذه النظرة الشمولية الموسوعية المتوازنة هى التى يعلمنا إياها الدين الإسلامى والتى طبقها المفكرون المسلمون فيما بعد **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا﴾**.

وعلى هذا الضوء، ذهب حجة الإسلام الإمام الغزالى يوضح هذا الإرتباط بين علوم الدين والدنيا فيقول: «تنقسم العلوم إلى شرعية وغير شرعية، فالعلوم التى ليست بشرعية تنقسم إلى ماهو محمود وإلى ماهو مذموم وإلى ما هو مباح، فالمحمود مايرتبط به مصالح أمور

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣١.

الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ماهو فرض كفاية وإلى ماهو فضيلة وليس بفريضة. أما فرض الكفاية فهو علم لايستغنى عنه من قوام أمور الدنيا كالطب، إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب، فإنه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما. وهذه العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد. وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين. فلا تتعجب من قولنا إن الطب والحساب من الكفايات فان أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة. فإنه لوخلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريض أنفسهم للهلاك فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله.

وأما مايعد فضيله لافريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما لاتستغنى عنه، ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج إليه، وأما المذموم فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعوذة والتلبيسات. وأما المباح فالعلم بالأشعار التى لاسخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجرى مجراه[1].

وعلى هذا لمْ يعرف الفكر الإسلامى فى عصورنا الخوالى، هذا الفصل بين علوم الدين والدنيا، ولقد عرف المفكر المسلم كيف يوازن بين هذا وذاك، فالدنيا لاتنفصل عن الآخرة، ولذلك نجد الغزالى يقول أيضاً: "الفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا

(١) حامد الغزالى: إحياء علوم الدين، جزء أول، الناشر المكتبة التجارية الكبرى، ص١٦.

بحكم الشهوات، فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم فى الدنيا ، ولعمرى إنه متعلق إيضا بالدين، لكن لابنفسه بل بواسطة الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، لايتم الدين إلا بالدنيا ، والملك والدين توأمان، فالدين أصل والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لاحارس له فضائع ولايتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط فى فصل الحكومات بالفقه »[١].

وهذا الكلام انقله هنا بنصه من الإمام الغزالى، المفكر الإسلامى، لأوضح كم كان أسلافنا يفهمون الإسلام منذ قرون عديدة على أنه منهج شامل متوازن لكافة قضايا الوجود والحياة والإنسان، ولم يعرف الإسلام أن يهتم بجزئية من شئون الحياة ويترك الآخرة، بل لم يترك شاردة ولاواردة إلا وحاول أن يلقى الأضواء والظلال حولها.

فالغزالى لم يفرق بين علوم الدين «العلوم الشرعية» وعلوم الدنيا ، بل واجب على الأمة الاحتفاء بهما ، وكذا الفقيه يجب أن يكون عالماً بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق على حد تعبيره الدين والملك توأمان فالدين أصل والسلطان حارس. ولعمرى ... ما أجل هذا التصوير والتعبير، وكما يقولون ما لايزع بالقرآن يزع بالسلطان هكذا ينبهنا الغزالى منذ قرون خلت !! وما زال البعض يتهم الفكر الإسلامى بالجمود والتخلف عن الركب الحضارى؟.

إن الإسلام هو المنهج أو المذهب أو النظام الوحيد فى العالم، الذى

(١) المرجع نفسه، ص ١٧.

مصدره كلمات الله وحدها، غير محرفة ولامبدلة ولامخلوطة بأوهام البشر، وأغلاط البشر، وانحرافات البشر.

**والمناهج أو الانظمة التى نراها فى العالم إلى اليوم ثلاثة، فيما عدا الإسلام طبعاً:**

١- منهج أو مذهب أو نظام مدنى بشرى محض، مصدره التفكير العقلى أو الفلسفى لبشر فرد، أو مجموعة من الأفراد، كالشيوعية والرأسمالية والوجودية وغيرها.

٢- منهج أو نظام دينى بشرى كذلك، مثل الديانة البوذية القائمة فى الصين واليابان والهند التى لايعرف لها أصل الهى أو كتاب سماوى، فمصدرها إذن فكر بشرى.

٣- منهج أو مذهب دينى محرف، فهو -وان كان الهيا فى أصله- عملت فيه يد التحريف والتبديل فأدخلت فيه ماليس منه، وحذفت منه ماهو فيه، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر، فلم يبق ثمة ثقة بربانية مصدره، وذلك كاليهودية والنصرانية، بعد ثبوت التحريف فى التوراة والإنجيل نفسيهما، فضلا عما أضيف اليهما من شروح وتأويلات ومعلومات بشرية، بدلت المراد من كلام الله.

أما الإسلام فهو المنهج الفذ الذى سلم مصدر من تدخل البشر، ذلك أن الله تولى حفظ كتابه ودستوره الاساسى بنفسه وهو القرآن المجيد، وأعلن ذلك لنبيه وأمته فقال: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ الحجر آية ٩[١].

---

(١) د. يوسف القرضاوى، الخصائص العامة للإسلام، الناشر مكتبة وهبة، ص ٣٥.

المتأمل فى الكون حولنا يجد أنه يقوم على قاعدة الوسيطة أو التوازن فى الكون، من أجل أن يسير كل شئ فى الوجود على أتم وأفضل نظام: ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾.

ولايخلو أى نظام من صنع البشر من الإفراط أو التفريط، فكل قانون مرتبط بظروف زمانه ومكانه وإن صلح لوقت من الأوقات، فهو لايصلح فى وقت آخر هذا عكس النظام الإلهى خالد وصالح لكل زمان ومكان.

فالمذاهب الأرضية أو الوضعية التى نراها حولنا الآن لاتتصف بهذه السمات «التوازن والشمول»، فنجد أنها تصطدم بالفطرة الإنسانية فها هى الشيوعية التى كانت لها صولة وجولة فى وقت من الأوقات، اصبحت الآن فى خبر كان؟ لماذا لأن الشويعية مذهب وضعى قام على فكر بشرى (ماركس) ولذلك مهما أوتى صاحب المذهب من عبقرية، فلن يستطيع أن يحيط علماً بمكنون الكينونة البشرية ومن هنا نجد أن الشويعية كمذهب قد باءت بالفشل الذريع لدرجة أن روسيا أيام القياصرة وقبل الثورة البلشفية الدموية «١٩١٧م» كانت أحسن حالا فى إنتاج القمح عما آلت إليه بعد تطبيق المذهب الشيوعى، كما أن أنصار الحزب الشيوعى يتمتعون بمزايا خاصة وشوارع خاصة ودخول خاصة، ففيم إذن التوازن وأين الوسطية؟.

وغير هذه من المذاهب الأرضية، كالرأسمالية وغيرها مآلها إلى الزوال حتماً، لأنها جميعا تصطدم مع الفطرة الإنسانية، ولأن القانون

الإلهى أو النظام "System" الإلهى وحده هو الذى يتمثل فى رسالة الإسلام كرسالة وسطية خالدة متوازنة: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾.

وعلى سبيل المثال ايضا، فإن الماديين يقيمون تفسيرهم للحياة البشرية على أساس أن الصراع الطبقى هو قوام هذه الحياة منذ خروج الناس من الشيوعية الأولى حتي يعود إلى الشيوعية الثانية، وأن هذا الصراع الطبقى متعلق بالملكية الفردية فلا يزول من الأرض حتى تزول الملكية الفردية، وبمجرد أن تزول الملكية الفردية يرجع الناس إلى الحياة الملائكية التى كانوا عليها أيام الشيوعية الأولى وتستريح البشرية من الصراع.

وفى الشيوعية تقول النظرية إن طبقة «البرولتياريا» أى الطبقة الكادحة هى التى تملك وتحكم، وتبيد الطبقات الأخرى جميعا فينتهى الصراع الطبقى بإبادة الأطراف التى يمكن أن تصارع البرويتاريا فى أى وقت من الأوقات.

فى النظام الربانى لايوجد شئ من هذا كله.

حقيقة إنه توجد ملكية ويوجد فى المجتمع اغنياء وفقراء ... ولكن لاالاغنياء طبقة ولا الفقراء طبقة، فالثروة فى المجتمع الإسلامى دائمة التنقل من جيل إلى جيل بحيث لاتكون «طبقة» دائمة من أفراد معينة أو أسر معينة تتوارث وضعاً اجتماعيا معينا. فأى فقير يمكن أن يتحول إلى غنى، وأى غنى يمكن أن يتحول إلى فقير، فلا يحجزه شئ عن أن يكون هذا أو ذاك، بحسب تصرفه الشخصى من ناحية وبسبب

حركة المواريث الدائمة التى تفتت الثروة من مكان وتجمعها فى مكان آخر.

فالتفسير المادى للتاريخ فنجده يحصر الصراع كله فى الصراع الطبقى، ويصير أسباب الصراع فى الملكية الفردية، ثم يزعم أن الصراع سيتوقف حين تزول الملكية الفردية، وبصرف النظر عن دلالة التاريخ تقول إنه قامت فى الأرض -سواء فى الجاهليات أو فى الاسلام- صراعات كثيرة قائمة على الصراع الطبقى وغير منبعثة من الملكية الفردية، فإنه يهمنا فى ختام هذه الفقرة أن نكشف عن زيف الدعوى القائلة بأن الغاء الملكية الفردية سيقضى على الصراع.

فالشيوعية قد الغت الملكية الفردية.

فيم إذن قام الصراع بين لينين وتروتسكى، وبين ستالين وبيريا[١].

لعلنا بهذا، قد اقتنعنا، بأن هذه المذاهب الأرضية لم تستطيع أن تقيم جنة الفردوس المفقودة على سطح الأرض، وإنما الإسلام وحده هو الذى يستطيع أن يجسد هذه الحقيقة شريطة أن نطبقه بشمولية فى كل حياتنا وأمور دنيانا ومعادنا.

كما أن الإسلام جاء بالتوازن بين مطالب الروح والجسد، بحيث لايطغى هذا على ذاك، وهو بهذا يهدف إلى خلق الشخصية الإنسانية السوية التى تسعد بالدارين الدنيا والآخرة.

---

(١) محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، الناشر دار الشروق، طبعة ثالثة ١٩٨٨، ص٢٧٥.

وكان من دعاء الرسول -ﷺ-: «اللهم لاتجعل الدنيا اكبر همنا ولامبلغ علمنا واجعلها فى أيدينا ولاتجعلها فى قلوبنا» فالرسول لم يدعُ إلى نبذ الدنيا وراء ظهورنا كلية، كما أنه لم يدعُ أن نكون غارقين فيها إلى الأذقان، وإنما يريد أن نعطى للدنيا حقها وللآخرة حقها بالقسطاس المستقيم، وكان من دعائه: «اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، واصلح لى آخرتى التى اليها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، وأجعل الموت راحة لى من كل شر» رواه مسلم.

كما أن شمول الاسلام يعنى شمول التشريع فالتشريع فى الإسلام تشريع شامل كذلك أنه لايشرع للفرد دون الأسرة، ولا للأسرة دون المجتمع، ولا للمجتمع منعزلا عن غيره من المجتمعات.

إن تشريع الإسلام يشمل التشريع للفرد فى تعبده، وصلته بربه وهذا مايفصله قسم العبادات فى الفقه الإسلامى، وهو ما لايوجد فى التشريعات الوضعية، ويشمل التشريع للفرد فى سلوكه العام والخاص، وهذا يشمل ما يسمى «الحلال والحرام» أو الحظر والإباحة. ويشمل التشريع ما يتعلق بأحوال الأسرة من زواج وطلاق ونفقات ورضاع وميراث، وولاية على النفس والمال ونحو هذا يشمل مايسمى فى عصرنا الأحوال الشخصية، ويشمل التشريع للمجتمع فى علاقاته المدنية والتجارية ومايتصل بتبادل الأحوال والمنافع بعوض أو بغير عوض فى البيوع والأجارات والقروض والمداينات والرهن والحوالة والكفالة وغيرها. مما تتضمنه فى عصرنا القوانين المدنية والتجارية ويشمل

التشريع ما يتصل بالجرائم وعقوباتها المقدرة شرعاً كالحدود والقصاص، والمتروكة لأهل الشأن كالتعازير وهذا يشمل مايسمى الآن «التشريع الجنائى» أو «الجزائى» وقوانين العقوبات ويشمل التشريع الإسلامى مايتعلق بواجب الحكومة نحو المحكومين وواجب المحكومين نحو الحكام وتنظيم الصلة بين الطرفين، مما عنيت به كتب السياسة الشرعية، والخراج والاحكام السلطانية فى الفقه الاسلامى وتتضمنه فى عصرنا «التشريع الدستورى»، أو «الإدارى» والمالى ويشمل التشريع الاسلامى ماينظم العلاقات الدولية فى السلم والحرب بين المسلمين وغيرهم مما عنيت به كتب «السير» أو «الجهاز» فى فقهنا الإسلامى وما ينظمه فى عصرنا القانون الدولى. **ومن هنا لاتوجد ناحية من نواحى الحياة إلا ودخل فيها التشريع**[1].

وإذا كان الإسلام دين الشمول، فهو أيضا دين التوازن وهوما عبر عنه القرآن الكريم بالوسطية فالوسطية تعنى التوازن أو الاستقامة ، أو الاعتدال فالكل بمعنى واحد.

فالمناهج والفلسفات الوضعية والفلسفات المختلفة -كما قلنا- قد أفلست فى خلق منهج متوازن مثل منهج الإسلام، والله خلق الكون على أساس قانون التوازن والتعادل، فالوجود بما يحوى من كمية هائلة من آلاف المجرات وآلاف المجموعات الشمسية حتى خيل إلينا أن كوكب الأرض فى النهاية مجرد ذرة فى هذا الوجود الهائل، وكل كوكب يسير فى محوره بنظام وتوازن دقيق لايحيد قيد شعرة وكما عبر عن ذلك

---

(١) د. يوسف القرضاوى: الخصائص العامة للإسـ[illegible] الناشر مكتبة وهبة، ص ١١٠.

القرآن: ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌ فى فلك يسبحون﴾.

فكما أن كون الله تحكمه الوسطية أو التوازن، كذلك منهج الله الممثل فى الرسالة الخاتمة «الإسلام» يحكمها قانون التعادل أو التوازن من أجل خلق الإنسان المتوازن فى السلوك والحياة وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾، إن الوسطية أو التوازن الذى يحكم النظام الكونى، هو التوازن الذى ينظم للإنسان حياته فوق سطح الأرض ممثلا فى رسالة الإسلام لأن المصدر والينبوع واحد هو الخالق المبدع سبحانه وتعالى.

من أجل هذا، فعندما يستقيم أمر الإنسان على منهج الله، يستقيم أمره مع كون الله(١).

* * * * *

---

(١) د. جمال رجب سيدبى: الإسلام دين الشمول والتوازن، جريدة النور، عدد ٣٢٧، يونيو سنة ١٩٨٨، ص ٣.

# الغزو الفكرى
# ومحـــاولات التغريـــب
# فى الفكر الحديث

## الغزو الفكري

# ومحاولات التغريب في الفكر الإسلامي الحديث

لاشك، أن هناك محاولات عدة، من جانب الاستعمار الغربى للتغريب وإبعادنا عن الثقافة الإسلامية الأصيلة.

ونعتقد -أنه مازالت- هذه المحاولات تعرض بين الحين والآخر، ولابد لنا من تفنيد هذه الشبهات من حول فكرنا الإسلامى وتنقيته من الخرافات والأباطيل. وهى حملة مبيتة الهدف منها القضاء على كلمة «التوحيد»، وأن يجعلوا المسلمين مجرد تابعين إلى الحضارة الغربية، ومن ثم فهم يريدون أن يكون النموذج الغربى هو النموذج الأمثل فى نفوسنا. وعلينا أن نحاكيهم فى كل شئ، فى عاداتهم، وفى أخلاقهم وفى سلوكهم، وقد قيض الله لهذه الأمة من يجدد عهدها ويحيى مجدها، فنجد العديد من الغيورين على حضارتنا الإسلامية من يستجلى الصفحات الوضاءة من تاريخنا المجيد ويسلط الأضواء والظلال على المفاهيم الإسلامية الصحيحة ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾.

**المستشرقون والتغريب[1]:**

كان للمستشرقين، دور، ودور مريب، فى تحقيق أغراض

(١) من الدراسات الهامة فى هذا الموضوع، انظر: د. محمود حمدى زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، «سلسلة الأمة» عدد ٥، ص ٤٣ - ٤٨، أيضا، ص ٧٢.

الإستعمار، ولهذا نجد أن دراسات المستشرقين في أغلب الأحيان تتم بنية خبيثة مبيتة، ولم يكن البحث بقصد النزاهة العلمية والبحث الموضوعي كما يدعي البعض، بل القلة فقط ممن توفر فيهم نزاهة البحث العلمي والأمانة العلمية، ولكن الكثير منهم، بل الغالبية تهدف إلى النيل من الإسلام وتحريفه بقصد إبعاد المسلمين عن ثقافتهم الأصلية، وسوف ندلل بنماذج على تلك اللعبة الاستعمارية التي تهدف في ظاهرها البحث العلمي والبحث فقط؟! ولكن تحمل في طياتها سموم الاستشراق.

إن الثقافة الجيدة الغنية هي صورة الأمة، وأمارة عظمتها والسلطة مهما قويت تعد شيئاً طائلا مالم تكن جزءاً من حضارة الأمة ومعرفتها وتفوقها.

وقد رأينا الدول الاستعمارية تسحب جيوشها، وتترك أقطاراً احتلتها، غير أنها وكلت إلى ثقافتها الغلابة أن تحتفظ بكل شئ، فإذا كان الغزو الثقافي أنكى من الغزو العسكري، وإذا كان احتلال العقول أقسى من إحتلال الأرض.

انه لايستهين بتأثير الثقافة إلا أحمق، ومنذ أفلح الجهال في بلادنا وعبثت أصابعهم بقيادتنا، واضمحلال العلم وانزوى أهله شرعنا ننهزم في كل ميدان[1].

---

( ) محمد الغزالي: علل وأدوية، الناشر دار الكتب الإسلامية، ص ٢٠١.

**وينطوى عمل الدراسين للإسلام من المستشرقين على نزعتين رئيسيتين :**

**النزعة الأولى:** تمكين الإستعمار الغربى فى البلاد الإسلامية وتمهيد النفوس بين سكان هذه البلاد لقبول النفوذ الأوربى والرضاء بولايته.

**النزعة الثانية:** الروح الصليبية فى دراسة الإسلام، تلك النزعة التى لبست ثوب البحث العلمى، وكلاهما خدمة الغاية الإنسانية المشتركة.

هذا «رينان» الفرنسى يصور عقيدة التوحيد فى الإسلام بأنها عقيدة تؤدى إلى حيرة المسلم كما تحط به كانسان إلى أسفل الدرك، على حين أن عقيدة التوحيد مزية الإسلام، وآية على أنه الرسالة الخالدة الواضحة لخالق الكون فى كونه، كما أنها الطريق الوحيد إلى رفع شأن الإنسان وتكريمه لأن صاحب هذه العقيدة لايخضع فى حياته لغير الله. ولايتوجه فى طلب العون إلى غير الله سبحانه وتعالى.

ويعرض رينان مسائل الجبر والاختيار بطريقة ملتوية ويفسرهما تفسيراً خاطئاً، ويقول: «وقد ظهرت على أطلال العالم القديم بعد خمسمائة عام من انقضائه ديانتان: أحدهما ربانية، والثانية بشرية، تمثلان ذينك المذهبين المتناقضين ، ولكن بتطليف فى التناقض ... أما الأولى «الديانة الربانية» فهى الديانة المسيحية الوراثة بلا واسطة آثار الآريين والمقطوعة الصلات بالمرة مع مذهب السامية وإن كانت مشتقة منه وغصنا من دوحته».

من خصائص هذه الديانة المسيحية ترقية شأن الإنسان بتقريبه من الحضرة الإلهية. على حين أن الديانة الثانية «البشرية» وهى الإسلام، المشوبة بتأثير مذهب السامية، فتحط بالإنسان إلى أسفل الدرك وترفع الإله عنه فى علاء لانهاية له[1].

وهذا مستشرق آخر «فيليب فوتداس» فى كتابه دراسة عن الإسلام فى أفريقيا السوداء يقول عن الزكاة ويفسرها: «إن الأموال المادية -فى نظر الإسلام- هى من أصل شيطانى نجس، ويحل للمسلم أن يتمتع بهذه الأموال شريطة أن يطهرها، وذلك بأرجاع هذه الأموال إلى الله».

والظاهر أن الشارح أخذ من قوله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها . . .**﴾ (التوبة ١٠٣). أى أن الأموال نجسة فى أصلها، وإذن فالذكاة وسيلة تطهريها وبذلك فهم التطهير منهما حرفيا حسيا.

ومثل هذا التصوير لموقف الإسلام من المال يسئ إلى الإسلام أيما إساءة.

ويشرح المستشرقون المبدأ الإسلامى فى الزوجة وهو مبدأ «قوامة الرجل على المرأة -بفكرة التفوق ويجعل منه أمارة على نظرة الإسلام إلى وضع كل من الرجل والمرأة فى الحياة، فهو يسمو بالرجل إلى ذروة الرفعة بينما يهبط بالمرأة إلى هاوية الضعة !! أما طاعة المرأة للرجل

---

(١) انظر: د. محمد البهى، الفكر الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، ص ٤٥.

فتعرض على أنها نوع من الإذلال ، سبب لفرض الرق والعبودية على نصف البشرية ... إلى آخر مايترتب على هذا الشرح المغرض»[١].

نعم ... هناك العديد من المستشرقين ممن يبثون سمومهم في دراساتهم عن الإسلام، بل ويعرضون أفكارهم تلك وكأنها هي الإسلام ثم يتلقفها الإنسان الغربي ويترسب في وجدانه أن هذا هو الإسلام ، فالمستشرقون يعرضون الجهاد على أنه الإعتداء على حقوق الآخرين أو تشجيع العدوان. ولهذا العرض أثر سئ إلى أقصى حد في علاقة الشعوب الغربية بالمسلمين وفي تصورهم لحياة المسلم وأهدافه في الحياة.

هذه النزعة الاستشراقية كما هو ملاحظ، تدعو إلى إضعاف القيم الإسلامية وإهدارها من الوجود ، والنزعة الأخرى هي نزعة الحقد الدفين تجاه الحق وأهله، وتتضح هذه النزعة بجلاء في كتابات المستشرقين، ودراستهم تنم عن حقد دفين وتهكم على الرسول -ﷺ-.

يقول المستشرق الفرنسي «ليمون» في كتابه «باثولوچيا الإسلام»: «إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هي مرض مريع، شلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولايوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمور ويجمع القبائح، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الاتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي وتكرار لفظه «الله» إلى ما لانهاية،

---

(١) د. محمد البهي، المرجع السابق، ص ٤٧.

والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ككراهية لحم الخنزير، والنبيذ والموسيقى»[١].

هذه هى أفكار الإستشراق، وهذه هى نفسية المستشرقين فى العالم الغربى، ورغم خروج المستعمرين من البلاد، إلا أنهم تركوا أفكارهم وثقافتهم فى البلاد الإسلامية -وللأسف- هناك عقول نشأت وتربت فى بلاد الإسلام ولكن بثقافة غربية وميول غربية وكل هؤلاء إنما ينفذون مخططات الاستعمار وأعداء الإسلام فى السيطرة على مقدرات الأمة!!.

لقد ظهرت حركات ثقافية داخل العالم الإسلامى تساند هذا الإستعمار والاستشراق وتحقق مطامعه، تمثلت فى مذهب القاديانية والأحمدية فى الهند.

فلقد كانت الدعوى التى دعاها السيد أحمد خان باسم الإصلاح والتندمية تعتبر تمهيداً لنشأة القاديانية، تلك العقيدة التى تفرع عنها فيما بعد، ذلك المذهب الذى يعرف بالأحمدية، وكتب «احمد خان» تفسير على القرآن الكريم محرف الكلم عن مواضعه وبدل ما أنزل الله.

كما قامت القاديانية، وسُجلَ هذا المذهب رسميا فى سنة ١٩٠٠ وله أتباع فى البنجاب وأفغانستان وإيران. ولسان حال هذه العقيدة: ومجلة الأديان بالانجليزية» التى تصدر كل شهر مرة فى قاديان منذ عام ١٩٠٢م. وصاحب هذا المذهب هو ميرزا غلام احمد القاديانى الف

(١) تاريخ الإمام، جـ٢، ص ٩.

كتاباً سماه «براهين الأحمدية» وخرج بالجزء الأول منه ١٨٨٠م ... وفى هذا الجزء أدعى المؤلف «أنه المهدى»[١].

وهناك بعض الكتابات التى يجب أن يتعامل معها المسلم بحذر شديد مثل «دائرة المعارف الإسلامية» ولابد أن يكون على وعى كامل بالإسلام لأن دائرة المعارف فى هذه وضعت باللغات الأوربية فى دوائر الاستعمار والاستشراق والتبشير، بهدف أساسى هو أن تكون مادة فى أيدى الخبراء والمبعوثين الذين ترسلهم دوائر ووزارات الاستعمار إلى عالم الإسلام والعروبة ولذلك فهى تنضح بالحقد والتعصب والشكوك والاضطراب وقد كتبها جهابذة التبشير والاستشراق وحملوها كل خصوماتهم وأحقادهم.

ولقد لفت الباحثون المنصفون النظر إلى أخطاء دائرة المعارف عندما أراد أن يترجمها نفر من الكتاب فى الثلاثينيات، فقد تصدى لهم أكثر من باحث منصف يعارض خطتهم وباطلهم بتصحيح تلك الأخطاء في صلب البحث، ولكنهم اكتفوا بالتعليق على هذه الشبهات فى الهوامش، ففوتوا كثيرا من الحقائق على القارئ المتعجل الذى لايعنى بالرجوع إلى الهامش[٢].

وقد اشار إلى هذه الأخطاء نفر من الدارسين والباحثين أمثال العلامة وجدى والأستاذ أحمد أمين والعلامة تقى الدين الهلالى

---

(١) د. محمد البهى، المرجع السابق، ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) أنور الجندى: سموم الاستشراق والمستشرقين فى العلوم الإسلامية، مكتبة التراث الإسلامى، ص ١٨.

وغيرهم.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة من الكتب والموضوعات التى بحثت بنفوس استشراقية مثل قاموس المنجد الملئ بالأغلوطات والأخطاء العلمية، ومثل كتاب الأغانى للأصفهانى الذى يعتمد عليه كمرجع تاريخى وما هو بمرجع تاريخى ولكنه يصور حياة اللهو والمجون فى هذ هالفترة التاريخية.

كما يتضح الكسره والحقد الدفين وسموم الاستشراق من خلال كتاب «شمائل المصريين المحدثين» لمؤلفه ادوار وليم لين وهو من أسوأ الكتب التى وضعت للطعن فى اخلاق الإسلام فى المجتمع العربى، ولقد قصد مؤلفه كل مايتعلق بالخرافات والأباطيل واراد الصاقها بالمجتمع المصرى.

ومن الإنصاف أن نشير إلى أن هناك بعض المستشرقين **وهم قلة قليلة قد خدموا الفكر العربى والتاريخ الإسلامى** ونذكر من بينهم المستشرق الفرنسى «الفونسو إتين دينيه» الذى درس الأديان وقارن بينها، فلما تيقن أن الإسلام دين الحق والصدق آمن به، واشهر إسلامه، خدم الإسلام بمؤلفاته ودراساته. ولقد أصدر حكمه على المستشرقين فقال: «من العسير أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم عندما يؤرخون حياة الرسول -ﷺ- وحياة صحابته» ولدينيه مؤلفات طيبة عن الرسول اعتمد فيها على امهات الكتب الإسلامية كسيرة ابن هشام وغيره من المراجع الأصلية[(١)].

(١) مقال: د. محمود بن شريف، المستشرقون بين الحقائق والأوهام، مجلة الأمة العدد الثامن والأربعون، سنة ١٩٨٢ م ، ص ١٢.

إزاء هذه السموم من الاستشراق والمستشرقين، برز فى العالم الإسلامى دعاة ومصلحون، يزودون عن حياض الإسلام الافتراءات والأباطيل كأمثال جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده.

**فما هو موقف كل منهما الاصلاحى فى عالمنا الإسلامى؟**

# جمال الدين الأفغانى
# «١٨٣٨ - ١٨٩٧»

جمال الدين الأفغانى، رمز الثورة، والاصلاح، وموقظ الشرق من سباته العميق، وكانت كلماته كالشرارة التى تنطلق فى النفوس، فى زمن خيم فيه الظلام والتخلف.

ولد جمال الدين الأفغانى فى قرية أسعد آباد سنة ١٤٥٤ هـ - ١٨٣٨ م وفى الثامنة من عمره جلس للتعليم وعنى والده بتربيته، وتلقى معارف جمة بين علوم عربية، وعلوم شرعية، وعلوم عقلية، وفنون رياضية، ودرس نظريات الطب والتشريح، واستكمل الغاية من دروسه فى الثامنة عشرة من عمره[١].

## جمال الدين فى مصر:

جاء الأفغانى إلى مصر أول مرة سنة ١٨٦٩ ثم رحل عنها ثم مالبث أن عاد اليها ثانية سنة ١٨٧١ وبقى فيها حتى أخرج منها بقرار نفى أصدره الخديو توفيق فى أغسطس سنة ١٨٧٩ فرحل عنها بعد أن رأى ثمار غرسه ممثلة فى كوكبة من تلاميذه وعلى رأسهم الإمام محمد عبده، أنجب تلاميذه على الإطلاق.

أما عن الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى عاش فى ظلها، والمرحلة التاريخية التى ظهر فيها، فيكفى أن نشير إلى أن: « السيد جمال الدين الأفغانى ظهر فى عصر ضعفت فيه الدولة

---

(١) محمود أبو رية: جمال الدين الأفغانى، دار المعارف، ط ثالثة، ص ١٦.

العثمانية، وتعقدت فيه المصالح بين الشرق والغرب. وبعد أن كانت السياسة الأوربية قائمة على الدفاع عن الدولة العثمانية كقوة ضرورية لحفظ التوازن الدولى فى بداية القرن التاسع عشر، أصبحت فى السنوات الأخيرة منه قائمة على تمزق أوصالها والاستيلاء على أجزائها الواحدة بعد الأخرى(١).

استقر المقام بالسيد جمال الدين الأفغانى فى مصر بعد أن جاوز الثلاثين من عمره بعامين، وبعد أن تنقل فى معظم العالم الإسلامى، وخبر عادات أهلها، ودرس تاريخها، واشترك فى الحوادث التى مرت بها، فنضجت افكاره السياسية، وتبلورت آراؤه فى الإصلاح، وكذلك كانت السنوات التى مكثها فى مصر من أعظم سنين حياته، وأكبرها أثرا لا فى تاريخ مصر وحدها بل فى تاريخ العالم الإسلامى بأكمله، وكانت دروسه فى أول الأمر قاصرة على الناحية العلمية ثم أتجه إلى الناحية السياسية، فكان له أثر كبير فى نهضة مصر السياسية والدينية والأدبية(٢).

بعد تولية الخديو توفيق، سعت الدول الأوربية إلى إبعادجمال الدين الأفغانى عن مصر، فأصدرت الحكومة بلاغا رسميا بتاريخ ٢٦ أغسطس سنة ١٨٧٩ م - ٨ رمضان سنة ١٢٩٦ هـ. ذكرت فيه أن جمال الدين الأفغانى رئيس جمعية سرية من الشبان وحذرت الناس من

---

(١) د. عبد الباسط محمد حسن: جمال الدين الأفغانى وأثره فى العالم الإسلامى الحديث، الناشر مكتبة وهبة، ص ١٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠.

الاتصال به، وأصدرت أمراً بإبعاده عن البلاد[١].

**منهجه فى التفكير:**

نود أن نشير إلى أن جمال الدين الأفغانى كان مفكرا من طراز رفيع، وكان منهجه الفكرى الذى توخاه، هو الدعوة إلى إيقاظ ضمير الأمة والكلمة الحماسية التى تلهب النفوس، فهو يبتغى من وراء دعوته إيقاظ النفوس من غفلتها ولذلك نجد الطابع الحماسى لكلمات السيد جمال الدين الأفغانى، هكذا حال الصلح فى كل زمان ومكان، أمامه تركة مثقلة بالأوبئة والأمراض فأنى له من الوقت الكافى لعلاج العلل ووضع الدواء لكل داء!!، ولذلك سوف نجد أن هناك كوكبة كبيرة تأثرت بالأفكار الوضيئة للافغانى وكان على رأسهم الإمام محمد عبده.

**إصدار العروة الوثقى فى باريس:**

أود أن أشير إلى جهاد الأفغانى فى مواجه الاستعمار وخاصة، أما نعرض لموقفه من الغزو الفكرى والاستشراقى الحديث، فلن ننسى موقفه فى العروة الوثقى وآراؤه الإصلاحية من خلالها.

أنشأ جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده جمعية العروة الوثقى، وأخذا يعملان على بث الدعوة لها فى مختلف الأقطار الإسلامية.

وصدر العدد الأول من جريدة العروة الوثقى فى باريس عام ١٨٨٤ وكانت الآراء والأفكار من بنات فكر الشيخ جمال الدين الأفغانى، وكان الشيخ محمد عبده هو الذى يقوم بصياغتها والتعبير

---

(١) نفس المرجع، نفس الصفحة.

عنها.

وكان للعروة الوثقى دوى يقرع الآذان فى ذلك الوقت وكان للجريدة أهداف عظيمة نحو دعوة المسلمين إلى التمسك بأصول دينهم مع استيعاب الترقى والحضارة والعمران، وجاءت مقالة الجريدة لتحى النفوس، وتدعو إلى التمسك بالجامعة الإسلامية وغيرها من الأفكار.

**موقف الحكومات من الجريدة:**

كان من المتوقع من الغرب أن يحارب مثل هذه الأفكار بشدة وضراوة، وخاصة أن الفكر الصحيح يفعل فعلته فى النفوس وخشيت الحكومة الانجليزية خطر الجريدة فى مصر والهند، فأمرت بمنعها من الدخول.

**فكرة الجامعة الإسلامية:**

لعل من أقوى الدعوات التى أقلقت مضاجع الغرب الدعوة إلى تأسيس الجامعة الإسلامية، وكان -هذه- دعوى الشيخ جمال الدين الأفغانى، وكان يدعو إليها على أسس وهى:

**١- رابطة الدين:**

يرى جمال الدين الأفغانى أن رابطة الدين هى من أقوى الروابط، وهى أساس الوحدة بين المسلمين فيقول: «وليس عليهم فى استرجاع مكانتهم الأولى والصعود إلى مقامهم الأول إلا أن يجمعوا كلمتهم، ويتعاونوا على مايقصدون من إعزاز ملتهم وذلك أيسر مايكون عليهم بعد تمكين الجامعة بينهم[١]».

(١) العروة الوثقى، ص ١٨٣.

**الخلافــــة :**

كان جمال الدين الأفغاني يؤمن بأهمية الخلافة في جمع الكلمة وإسادة الوحدة بين المسلمين، ولذلك أراد أن يعيد إليها هيبتها ومكانتها القديمة حتى يستعيد العالم الإسلامي ما كان له من مجد وقوة.

وهو يقول في هذا الصدد: «كانت الأمة كجسم عظيم قوى البنية، صحيح المزاج، نزل به من العوارض ما أضعف الالتئام، ثم انثلمت وحدة المسلمين «الخلافة» فانقسمت إلى أقسام، عباسية في بغداد، وفاطمية في مصر، والمغرب، وأموية في أطراف الاندلس، تفرقت بها كلمة الأمة وانشقت عصاها، وانحطت رتبة الخلافة إلى وظيفة الملك[1].

ورغم عمق هذه الدعوة «الجامعة الإسلامية» إلا أنها لم تنجح في العالم الإسلامي، لظروف سياسية، وأن الاستعمار كان يعمل ليل نهار على تقويض دعائم مثل هذه الدعوات !!.

مات جمال الدين الأفغاني سنة ١٨٩٧ م. بعد صراع عنيف مع الاستعمار الغربي استمر ثلاثين عاماً ولكن ما أن توفي -عليه رحمه الله- حتى انتشر كفاحه واتجاهه في التفكير في جميع انحاء العالم الاسلامي وبخاصة في تلك الانحاء التي تسلط فيها الأجنبي، وعبث بمقدسات المسلمين وبكراماتهم واقتصادياتهم ومواردهم في الثروة الطبيعية[2].

---

(١) عروة الوثقى، ص ٩١ ، ٩٢.

(٢) د. محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، مكتبة وهبة، ص ٩٠.

# محمد عبده(١)

## «١٨٤٩ - ١٨٨٨»

ولد الشيخ محمد عبده ١٨٤٩ فى قرية محلة نصر من أبوين مصريين متوسطى الحال. وتعلم القراءة والكتابة فى منزل والديه دون أن يذهب إلى الكتاب.

وبعد أن جاوز الصبى العاشرة من عمره أتم حفظ القرآن على حافظ خاص. ثم ذهب إلى «الجامع الأحمدى» فى طنطا ليتعلم تجويد القرآن وقواعد اللغة العربية. لكن منهج التعليم فى «الجامع الأحمدى»، كان منهجا وعراً شاقاً يخالف ماتقضى به أبسط قواعد التربية. وكاد الصبى أن ينصرف عن العلم وأن ينشغل بالزراعة لولا أن قيض الله له خاله الشيخ درويش،وهو رجل صوفى طيب القلب زكى الفؤاد، استطاع فى خمسة عشر يوما أن يروض جماح الفتى، وأن يوجهه إلى المعانى القدسية واللذائد الروحية(٢).

والحادث الجلل وهو التحاقه سنة ١٨٦٦ بالجامع الأزهر، أهم مركز للثقافة الإسلامية، وأنفق محمد عبده فى تلك الجامعة زهاء ثلاث سنين، دون أن يجنى فائدة تذكر من الدروس التى كان يستمع إليها

---

(١) من الدراسات الهامة فى هذا الموضوع انظر دراسة استاذنا الدكتور. عاطف العراقى، فى كتابه العقل والتنوير فى الفكر العربى المعاصر، الناشر دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨، ص ١٧٩ وما بعدها.

(٢) انظر: د. عثمان أمين: محمد عبده «رائد الفكر المصرى» الناشر دار الانجلو المصرية، ص ٣٤.

هنالك. ولاشك أن مرجع ذلك إلى طريقة التدريس السائدة فى الأزهر، تلك الطريقة العقيمة التى كانت تفرض على طلاب العلم، مختصرات لاتفهم إلا بشروح وحواش وتقارير وانما تزحم ذاكرتهم بحشد مشوش من المعلومات النحوية المتشابكة والدقيقات اللفظية التى تزهق الفكر وتعوقه على النمو[1].

ثم تفتحت أبواب السماء بقدوم جمال الدين الأفغانى، فقصد إليه مع شيخه حسن الطويل نجان أبى طاقية قريبا من الأزهر من سنة ١٨٧١م.

وبعد عامين فاجأ التلميذ الأزهر بحاشية وضعها على شرح الجلال الدوانى على العضدية «لعضد الدين الأيجى ٧٥٦ هـ - ١٣٥٥ م».

هو فى حاشية يأخذ الدين من مصادره فى القرآن والسنة ويلتزم النص القطعى الورود والدلالة أو المعنى القطعى الذى تتضافر عليه النصوص، لايفسق المسلم أو يكفره، وهو مستقل لايتعصب أو يقلد ومجتهد يسير مع الدليل[2].

ولاشك أن شخصية خاله الشيخ درويش والشيخ السيد جمال الدين الأفغانى كانا لهما من التأثير على تفكير الإمام محمد عبده.

**كلمة فى المنهج:**

قلنا إن السيد جمال الدين الأفغانى ، كان ينهج النهج الحماسى

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٢) عبد الحليم الجندى: الإمام محمد عبده، دار المعارف، ص ١٧.

لإثارة العواطف والحمية والزود عن حياض الاسلام، فكان جمال الدين الأفغاني يؤمن بالثورة سبيلا للتعبير، فى الوقت الذى نجد فيه شيخنا الإمام محمد عبده يؤمن بالتربية لافراد الأمة والشعب سبيلا للتخلص من الاستعمار وهما -فيما نعتقد- منهجان متكاملان، وإن كان شيخنا محمد عبده يؤثر منهج التعليم والتربية كأفضل طريق للتحرر من قبضة الإستعمار.

**محمد عبده المصلح:**

كان الإمام محمد عبده من المصلحين الكبار، وهو يعرف معنى الإصلاح، بكل ماتحمل هذه الكلمة من معان.

إن أول مهمة اضطلع بها الإمام محمد عبده هى الأصلاح الدينى الإسلامى، فلقد كان فى أواخر حياته مفتيا للديار المصرية، فيدعو إلى التسامح الدينى، وإلى الاجتهاد فى الرأى، واعمال سلطة العقل، وهو الذى صرح غير مرة أن المباحث التقليدية التى يقضى فيها شيوخ الأزهر أعمارهم لاتعدل جهد ساعة واحدة إذ لم تنفع الناس فى أعمالهم وفى تدبير حياتهم[١].

لقد علم محمد عبده أن الدين فى كل مذهب أخلاقى يقوم بمهمة ليس عنها غناء . ومن أجل ذلك كان المربون يعمدون إلى الدين، لكى يثبتوا فى نفوس الأطفال مبادئ السلوك القويم.

وإذن فالدين -فى نظر محمد عبده- انما هو اصلح الوسائل وأمثل

---

(١) د. عثمان أمين: المرجع السابق، ص ١٦٦.

السبل لتحقيق ذلك الأصلاح الأخلاقى، وفى ذلك يقوم الإمام فى وضوح لايحتاج إلى مزيد، وهذه سبيل لمريد الإصلاح فى المسلمين لامندوحة عنها، فإن إتيانهم من طريق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين يحوجه إلى إنشاء بناء جديد ليس عنده من مواد شئ ولايسهل عليه أن يجد من عماله أحد. وإذا كان الدين كافلا تهذيب الأخلاق وصلاح الأعمال ... فلم العدول عنه إلى غيره[1].

والواقع أن الاستاذ الإمام كان قد فقد الثقة منذ زمان طويل فى كل إصلاح سياسى على نحو ما يريده استاذه جمال الدين الأفغانى، فبعد أن تعطلت مجلة «العروة الوثقى» أواخر سنة ١٨٨٤ ، وبعد أن فشلت مشروعات الجامعة الاسلامية التى كان الأفغانى يدعو إيها، أقترح محمد عبده على استاذه أن يعتزلا الإشتغال بالسياسة، وأن ينصرفا إلى انشاء مدرسة خاصة تعنى بتربية الشبيبة، وفقا لمنهج ومقاصد جديدة، وبهذا يصلان من طريق التربية إلى اصلاح الأخلاق، وتكوين الصفوة من الشباب المصرى تلائم تربيته المثل التى ينشدانها.

وإذا كانت النتائج التى يحصل المصلح عليها من طريق التربية أبطأ تحققا، إلا أنها بلا ريب أوثق وأعمق وأبقى أثراً. ولما كان المفكر المصرى يؤثر التدرج فى الإصلاح ويراه أكفل فى بلوغ النتائج المنشودة، فقد بادر بالعمل لإصلاح التعليم وهو فى نظره شرط لاغنى عنه لتقويم الأخلاق، وهذا الجانب من التربية الاخلاقية فى مذهب الإمام يفسر لنا ما ظفر به الفيلسوف المصلح من أثر عميق فى مصر والعالم

(١) الشيخ رشيد رضا، تاريخ الإمام، جـ٢، ص ٤٦.

الاسلامى(١).

إصلاحه فى الأزهر:

كان الشيخ منشئا للنظم، مدركاً للأولويات، فاستصدر قانونا بالاصلاح سنة ١٨٩٦ جعل للأزهر أطباء وصيدلية، وألزم مصلحة الصحة برعاية الظروف الصحية فيه وفى مساكن التلاميذ.

وابتسم القانون للشيوخ فزادت مرتباتهم وثبتت، بعد أن كانت تزيد وتنقص أو لا تجئ أبدا حسب ما يتحصل من ريع الأوقاف.

وانتقل الإصلاح إلى العلوم ودروس الحساب والجبر والمقابلة والتاريخ والجغرافيا فعرفت الكتب النافعة طريقها إلى عقول الناشئة وارتفع مستوى الدروس، وفى عام ١٨٩٩ عين الشيخ مفتيا للديار فصار قطعة من نفس الأزهر، وعلا وجه الأزهر، يوم راح يلقى فيه أعظم دروسه وبين يديه التلاميذ والعلماء والرجال العظماء وكانت عين الشيخ على الطلاب، منهم الهدف الأعلى من ذلك فتقررت الحوافز للمجدين، وقواعد للتدريس والامتحان والاجازات(٢).

وجاء الشيخ محمد عبده بكتب جديدة لتدريسها فى الأزهر وفى طليعتها دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجانى وعرفت العقول الشابة كتب الوسيلة الأدبية، والكلم الثمان للشيخ المرصفاوى، والكامل للمبرد والحماسة لابى تمام وتحطم حاجز الخوف من أى جديد فيه منفعة(٣).

---

(١) د. عثمان امين، المرجع السابق، ص ١٧٠.

(٢) عبد الحليم الجندى: الإمام محمد عبده، الناشر دار المعارف، ص ٧٧.

(٣) المرجع نفسه: نفس الصفحة.

إذن نستطيع القول أن الشيخ كان له دور اصلاحى فى الازهر يتلخص فى الآتى:

- وضع نظام للتدريس والامتحانات، فاقترح أن تعقد الامتحانات سنويا، ولم يكن ذلك النظام معروفاً من قبل، بل لم يكن عدد من يمتحنون يزيد كل عام عن ستة.

- الغاء دراسة بعض الكتب العقيمة -كالشرح والحواشى والتقارير التى اعتاد المشايخ تلقينها للطلبة من غير فهم، واستعيض ذلك كله بكتب أنفع وأقرب إلى مدارك الطلاب.

لقد أحدث الشيخ محمد عبده ثورة كبيرة فى الأزهر، ولذلك وجد معارضة كبيرة من أنصار الجمود، ورغم الحملات والمؤمرات التى كانت تدبر للرجل إلا أن أفكاره الوضيئة استطاعت أن تنتشر بين ربوع الأهر الشريف.

والحق أن شمائل الرجل كثيرة، فهل نتحدث عن محمد عبده الفيلسوف، أم محمد عبده السياسى، أم محمد عبده المفسر، أم محمد عبده المربى وصاحب مدرسة المنار، أم محمد عبده المنطقى، أم محمد عبده الناقد، ويكفى أن الرجل كان تواقا إلى الحقيقة وأنه كان مهموما بهموم الوطن والإسلام.

فكان مجدداً فى عصره ومصلحا من طراز رفيع، وما أحرانا ونحن نستقبل القرن الحادى والعشرين أن نتأسى بالرجل، وأن نستلهم من بنات أفكاره للذود عن ديننا ودنيانا؟؟.

# الفصل الثانى

# مشــــكلات الشبــــاب

# فى ضوء الإسلام

# مشـــكلات الشـــباب
# فى ضوء الإسلام

**تقـــديم :**

الشـباب هم عـمـاد الأمة، وأملها المرتقب، وإذا صلح الشـباب صلحت الأمم. وإذا فسد الشباب فسدت الأمم، وإنما يكون رقى الأمم وتحضرها ، بمدى اهتمام القائمين على أمرها بقضايا الشباب.

فـالشـبـاب طاقة وفـتـوة، ولابد لهذه الطاقـة الملتـهـبـة من مـصب طبعى، وإلا انفجرت هذه الطاقة فى غير مكانها المأمول.

ولقد كـانت -دائما- دعاوى المصلحين فى كل زمان ومكان نحو الإهتمام بالشباب وتوجيههم التوجيه الرشيد.

إن من أخطر الأمـور فى حيـاة الأمم أن ينخر السـوس فى كـيـان شبابها وأن تفتكهم الهموم والآلام، وانهيـار الشباب هو انهيـار لطاقـة الأمة.

فالشـبـاب هو الذى يجدد للأمة شبابهـا وعطائهـا ولولا سواعـد الشباب الفتيـة، مـا أقيـم عـمـران وتحضـر وتمدن. ولولا سـواعـد الشـبـاب ماحافظت الأمـة على أمنها واستـقـرارها فى مواجهة المتـربصين بالأمة الدوائر.

وما أجدرنا اليوم أن نعيد النظر فى هذه القضية من خلال منظور إسلامى، ولاسيما أن هناك تحديات عظام تواجه الشباب العربى والمسلم اليـوم من أجل إلهـائه بما لايغنى ولا [illegible] من جـوع، ومن أجل مسـخ

شخصيته، وإضاعة عمره فيما لاينفعه وما العمر إلا لحظات ... أو كما يقول الشاعر:

**دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان**

كما أن هناك حملة من أعداء الأمة للفتك بالشباب وإهدار طاقتهم فى الخطط اللئيمة مثل البث المباشر، وعرض البرامج التى لاتتفق مع قيمنا الروحية وديننا الإسلامى الحنيف.

من هنا، يتبين لنا مدى خطورة هذه القضية ومدى أهمية إثارتها فى هذا الوقت الراهن.

والسؤال ... **ماموقف الإسلام من قضايا الشباب؟؟**

**الشباب:**

يقسم علماء النفس مرحلة الشباب إلى مرحلتين الأولى أو الفتوة وهى التى تمتد من سن ١٣ - ٢٠ سنة وفى نهايتها يتحمل الفرد المسئولية المدنية، ومرحلة الشباب الثانية وهى التى تبدأ من سن ٢٠ إلى سن ٣٠ وهى مرحلة الرشد، وهى فترة زمنية فى مجرى حياة الفرد تتميز بالتغيرات الجسمانية والفسيولوجية التى تتم تحت ضغوط اجتماعية معينة تجعل لهذه المرحلة مظاهرها النفسية المتميزة وتساعد الظروف الثقافية فى بعض الثقافات على تمييز هذه المرحلة[١].

ولعلنا بهذا نستطيع القول، أن هذا السن من أخطر المراحل فى

(١) انظر: سعد جلال، المرجع فى علم النفس ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٨م ص ٢٥٣ ، ٢٥٥.

حياة الإنسان، وهى مرحلة تحتاج إلى نظرات ونظرات من أجل الاستفادة بخير هذه المرحلة وتجنب شرورها، فالشباب: ليس خيرا محضاً ، أو شرا محضاً ، الشباب عبارة عن الدم الفائر فى قابلية اكتساب كل ماهو حديث، عن كائن إذا اقتنع بشئ ورآه جديدا بالاكتساب لايتأخر عن التضحية بالنفس فى سبيله، بغض النظر عمّا إذا كان ذلك الشئ سيئا أو حسنا، وقوة الشباب هذه مثلها كمثل حد السيف سواء يستخدمه المجاهد فى سبيل الله أو قاطع الطرق ... إن الشباب هم الذين كانوا دعاة المساوئ والمنكرات فى أقدم العصور، كما كانوا هم الجيش العرمرم لرفع ألوية الخير والصلاح، إن الشباب هم أسرع اندفاعاً من الشيوخ، وهذه الظاهرة لاتختص بعصر دون عصر بل عمت العصور وشملت كل الدهور. إن القبائح الخلقية التى تنتشر اليوم فى أرجاء العالم: الشباب هم أول المقبلين عليها ، وهم الذين يزيدونها انتشاراً ورواجاً اكثر من غيرهم، بل هم الذين يتغنون بابتكار المساوئ الجديدة فى الحياة الاجتماعية، ولأجل ذلك أقول: إن الشباب ليس عبارة عن الشر المحض، إنه إذا رغب فى شئ من الخير، وإطمأن إلى كونه خيراً وجد فى نفسه مايجعله يضحى فى هذا السبيل بنفسه ونفيسة، ويقارع كل قوة ضده، مهما بلغ شأنها وعظم أمرها، وتنشط مواهبة فى ترويحه بعلمه وعمله[١].

من أجل هذا، اعطى رجال الإجتماع لرعاية الشباب اهتماما كافيا لأنه تيار فى محيط الحياة له مد وجزر، إذا لم يعط العناية الكافية فقد

---

(١) ابو الحسن الندوى، بين يدى الشباب، طبعة دار العروبة - لاهور - باكستان، ص ٧٤.

يردى بنفسه وبمجتمعه بأن يصبح عرضة لموجات عقائدية تمتزج به أو لبعض المستغلين من ذوى الأطماع الشخصية أو لبعض عملاء الدول الاستعمارية، أو الشعارات البراقة فيعيش الشباب منفصلا عن المجتمع ويتقوقع حول أفكار معينة ... وينحصر ولاؤه فى حدودها ... وقد ينتظم فى تدريبات للقيام بالتغيير، وقد يصل تدريبه إلى مستوى الانفجار لكى يحقق غايات هذه العناصر الخطرة المسيطرة عليه. وقد يمتد هذا الانفصال فيبعد الشباب عن المحيطين من أقران وأصدقاء بل ومن اسرته، ويصير بالتدريج حربا على أسرته إذا ما تصور أنها تتجه فى طريق يتعارض مع نظرته واتجاهاته. وقد شهدت ساحات المحاكم المصرية شباباً قد انضم إلى تنظيم متطرف يكفر أبوه ويتهمه بالالحاد والجنون ... ووجدنا جماعة أخرى اعطت لاسمها «الهجرة والتكفير» ترى أن تنأى بافرادها بعيدا فى الاماكن المهجورة للتنظيم والتدريب على استخدام العنف وتكفير المجتمع[1].

## أهمية الشباب بالنسبة للمجتمع:

يمكن القول ، بأن نمو المجتمعات وتقدمها وازدهارها يتوقف إلى حد كبير على الشباب باعتباره من أهم الموارد البشرية للمجتمع طاقة وفاعلية.

فالشباب ليس قطاعاً مستقلا عن بقية قطاعات المجتمع، ولكنه يكون قطاعاً أفقيا يدخل فى تركيب مختلف القطاعات الرأسية، ويمثل الشباب ثقلا رئيسياً من ناحية الكم والكيف فى قوى الإنتاج الزراعى

---

(١) انظر: حسين طنطاوى، الشباب إلى أين؟ ص ٤٨.

والصناعى والخدمات وفى القوات المسلحة، وبذلك يعتبر بمثابة القوة الطليعية للانتاج والخدمات والدفاع فى المجتمع[١].

كما يبدو لى أنه لابد من تضافر جهود رجال علم التربية والنفس والاجتماع بين الفنية والأخرى للنظر فى مشكلات الشباب التى تواجههم مع متغيرات العصر وحسه السريع، وتقديم الحلول المناسبة لهم.

إن الأمر لم يعد لمجرد الدراسة والبحث، إنما يتعدى أبعد من ذلك بكثير، وهو المحافظة على زخر الأمة، والمتمثل فى عطاء شبابها أقول هذا وأنا اعلم علم اليقين أن هناك مؤامرات تحاك فى الظلام من أجل القضاء على شبابنا حتى يصبح الجو مهيأ لإحكام القبضة على الأمة العربية والإسلامية.

فالشباب العربى والإسلامى يواجهه تحديات عظام اليوم ولابد له أن يعود إلى ينابيع الإسلام الصافية حتى يستطيع أن ينأى بنفسه عن هذه المتاهات.

وتجدر الإشارة إلى أن تعداد الشباب مجتمعنا اكثر من النصف فإن إيجابيته هى ايجابية للمجتمع ككل ... وإذا كانت الديمقراطية هى فهم مشترك مع المجتمع، كما نطلب من المجتمع أن يرعى الشباب فى رؤية مشتركة، وإذا كان الشباب هو الطاقة، فلا بد إذن أن يتحمل المسئولية وهو على استعداد للقيام بنصيبه كفرد فى تحقيق مصلحة

---

(١) د. محمد عزمى صالح: التأصيل الإسلامى [illegible] الشباب، دار الصحوة، ص ٤٥.

المجتمع وبأن يكون فى ذلك واسع الأفق وتتجاوز اهتمامة ذاته واسرته وحيرته لتمتد إلى المشكلات العامة بتنمية قريته أو مجتمعه أو العالم كله ويرى فى الانعزالية خطرا يهدد الصحة النفسية للفرد والمجتمع وان يحاول الوصول إلى مركزه فى المجتمع عن طريق الخدمة العامة بمعنى ان يضع مواهبه فى خدمة مشروعاته البيئية ، ويكون حساساً للعدالة الإجتماعية ويعمل من أجل تكافؤ الفرص أمام الجميع[1].

## الحاجات الأساسية للشباب:

نود أن نعرض للحاجات الأساسية، للشباب، إذ أن ذلك يفيدها فى تشخيص الداء، وعرض المشكلات، واقتراح الحلول المناسبة، والحاجات فى الغالب ترتبط بالدوافع فكما ظهر دافع من الدوافع مهر لظهور حاجة مناسبة له، فدافع الجوع يمهد للحاجة للطعام ... الخ فالدفاع يمهد للاشابع من الحاجة الموجه إليها.

ولابد وأن نأخذ فى الاعتبار إلى إشباع الدافع إذا كان على نحو صحيح كان الناتج صحيحاً.

### ١- حاجات جسمية:

نظرا للنمو السريع والمتلاحق فى مرحلة الشباب وخاصة فى بدايتها فإن الشباب يحتاج إلى بناء جسمه والتمتع بحالة صحية جيدة مما يتطلب تغذية مناسبة كما تبدو الحاجة إلى استيعاب وتقبل تلك التغيرات الجسمية والتكيف النفسى معها.

---

(١) حسين طنطاوى، الشباب إلى أين؟ ص ٤٩.

**٢- حاجات انفعالية:**

كما اتضحت كثرة الحاجات الجسمية وأهميتها في بداية مرحلة الشباب واتجاها للاستقرار في بقية المرحلة فإن الحاجات الانفعالية تأخذ نفس المسار لارتباطها بالنواحي الفسيولوجية الجسيمة وتأثرها بها.

وتبدو في مرحلة المراهقة الحاجة إلى تحقيق الاتزان الانفعالي والتكيف النفسي السليم من خلال تكوين اتجاهات صحيحة مع المجتمع.

وكذلك تبدو الحاجة إلى تنمية الشعور بالذات لتحقيق الرضاء عن النفس وعدم الشعور بالنقص ومايرتبط به من مشاعر الحزن والقلة.

وتتأكد كذلك الحاجة إلى الانتماء الديني والروحي وتمثل القيم الدينية والمثل العليا حيث يجد الشباب فيها خلاصاً من الأزمات النفسية التي تعتريه وكبحا لجماح بعض الحاجات التي يتعذر إشباعها.

**٣- حاجات عقلية:**

لما كان العمر العقلي للإنسان يبدأ في التوقف مع بداية فترة المراهقة على عكس الخصائص الجسمية والانفعالية فإن الحاجة تبدو واضحة في مرحلة الشباب لاستثمار نسبة الذكاء وتوجيهها ويتأكد ذلك اكثر من نمو القدرات العقلية التي تأخذ في الظهور ويستمر نموها وتمايزها حتى مشارف سن الشيخوخة فتكون الحاجة ماسة لدى الشباب بل ومتزايدة كلما تجاوز الشباب بداية المرحلة إلى تنمية الإدراك والانتباه وممارسة التخيل والتفكير الصحيح، ولعل هذا يتم ويتأكد عن

طريق الإطلاع، وممارسة الهوايات الشخصية واستثمار المهارات المختلفة والكشف عن المهارات الكامنة وتوجيهها.

**٤- حاجات اجتماعية:**

لاشك أن الحاجات الاجتماعية من أكثر الدوافع إلحالحا على الشباب وهى تتأثر بالخصائص العقلية والجسمية والنفسية، ومن هنا يكمن أهمية العلاقات الاجتماعية لدى الشباب وحاجته اليها سواء مع أفراد المجتمع ومؤسساته. إلى جانب ان الشباب فى حاجة إلى الاضطلاع بمسئولياته وإمكاناته ومواهبه[1].

---

(١) انظر: د. محمد عزمى صالح، المرجع السابق، ص ٤٣ - ٤٤.

## بعض المشكلات التى تواجه الشباب

هناك مشكلات عديدة تواجه الشباب اليوم، ونحن نحاول أن نلقى الأضواء على بعض هذه المشكلات، قدر الطاقة، وفى حدود المرسومة لعرض الموضوع، وهذا لايعنى أن المشكلات الأخرى تقل أهمية عن المشكلة المطروحة، بل العكس تماما. ولكن هناك عوامل عديدة تكمنا فى العرض مثل الوقت وغيره ... الخ.

**المشكلة الجنسية:**

يعتبر الدافع الجنسى من أقوى الدوافع فى النفس الإنسانية، بل هو اعمق هذه الدوافع قاطبة، ولعل علم النفس الغربى قد قدم بعض التحليلات بصدد هذا الموضوع، ويبدو أن فرويد أحد أعلام هذا الاتجاه لم يكن موفقا كل التوفيق بصدد هذه المشكلة؟

ففرويد يذهب إلى آراء غريبة فيدعى أن الرضيع يجد فى رضاعته لذة جنسية! ويلتصق بأمه بدافع الجنس! والحضارة كلها ناشئة من الغريزة الجنسية.

على هذا النسق من التعسف ومن السخف يجرى فرويد فى تفسير السلوك الإنسانى كله على ضوء الجنس وما يحتاج الإنسان، لكى يؤمن بقوة الدافع الجنسى وتعمقه، أن يصل إلى كل هذا التعسف السخيف[1].

فالجنس فى نظر الإسلام دافع غريزى من الدوافع التى يستجيب

---

(١) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشرق، طبعة سادسة، ص ١٦٨.

اليها الإنسان متى أحس بالحاجة إليها، ووفق المعايير والحدود التى شرعتها الأديان، ولذلك جعله الإسلام من الأعمال التعبدية مادام هدف الإنسان منه: استمرارية الحياة، وعفة النفس، وصيانة المجتمع، وحفظ النوع. فالرسول -ﷺ- يقول: «وفى بضع أحدكم صدقة. قالوا يارسول الله : إن أحدنا ليأتى شهوته ثم يكون عليها أجر؟ قال أرأيتم إن وضعها فى حرام أكان عليه وزر؟ فإذا وضعها فى حلال فله عليها أجر، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنىّ أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى» من حديث رواه البخارى ومسلم عن انس بن مالك -رضى الله عنه-.

وتجدر الاشارة إلى أن اليهود فى «بروتوكولات صهيون» ، يرون أن إشاعة الجنس، هو السبيل الوحيد للقضاء على «الأميين».

**وبمكننا أن نلخص الحملة الضارية الموجهة ضد الشباب المسلم فى الآتى:**

١-الدعوة الصارخة نحو الإباحية والاختلاط غير المضبوط وإشاعة الفاحشة بين الشباب عن طريق وسائل عديدة مثل المجلات الماجنة ، والافلام المخلة وغيرها من الفنون التى تميع شخصية الشباب.

٢- إفساد المرأة، وإغراؤها بالملبس والمظهر لكى تبرز مفاتنها مما يثير الشباب ولست أدل على أن بيوت الأزياء الراقية فى باريس ولندن ملك لليهود!!.

٣- ضعف القيم الاسلامية فى المجتمعات العربية مما يجعل مشكلة الجنس من المشكلات الرئيسية التى تواجه الشباب؟؟

ولكن ما السبيل ... وما العلاج لهذه المشكلة؟!

نود القول أن مشكلة الشباب «من الناحية الجنسية» ومن حيث دفعة الغريزة الجنسية لابد وأن تعالج فى أطار منهج الاسلام، فكما وسبق وأن قلنا أن الإسلام منهج الشمول والتوزان -كذلك نقول- هنا أننا نعالج هذه المشكلة فى ضوء هذا المنهج وأولها:

أ- أن يتحلى المجتمع بالقيم الاسلامية الرفيعة التى تعين الشباب على «التأجيل المؤقت الشعورى» لهذه الدفعة الغريزية ﴿**فليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله**﴾.

ب- التزام المرأة المسلمة بالحشمة فى ملبسها ومظهرها، حتى يحافظ على شبابنا من التردى، أو الكبت لهذه الرغبة لأن الشباب إزاء المناظر المثيرة بين طريقين لاثالث لهما، فإما أن يكبت الشاب هذه الرغبة وتضغط على أعصابه ونفسيته وإما أن يلجأ إلى الطرق الغير مشروعة لتلبية نداء الفطرة وهذه الرغبة المحمومة، والمرأة بهذا المسلك آثمة أمام ربها، فضلا عن تبديدها لطاقة وشباب الأمة الذين هم أمل الجميع المنشود.

جـ- التأدب بآداب الاسلام كاملة فى حياتنا وفى معاملاتنا هو السبيل الوحيد لوضع الضوابط الوقائية لمعالجة مشكلة الجنس، فالكلمة الخانعة سبيل إلى إثارة الشهوات، والمشية المائعة سبيل إلى إثارة الشهوات والرائحة الفاتنة سبيل إلى إثارة الشهوات، فلابد أن نتأدب فى حياتنا بالإسلام، فلا يصح أن نحل هذه المشكلة بعيداً عن منهاجنا الإسلامى ككل.

د- ينبغى على القائمين على أمر الأعلام، أن يحافظوا على نفسية الشباب، بعرض البرامج المفيدة والتى تنمى مداركهم العقلية والنفسية وأن ينأوا عن المناظر المثيرة للرغبة الجنسية.

هـ- يجب على الشباب الاستفادة بأوقاتهم وشغلها بما يفيدهم لأن وقت الفراغ خير مدخل للشيطان، ولاثارة الخيالات الموهومة والرغبات الشاذة ومن هنا حرص الإسلام أشد ما يكون الحرص، على تعليم الشباب «الرياضة» مثل السباحة وركوب الخيل، حتى يجد الشباب الغض المصب الطبيعى لتفجير الطاقة الداخلية.

من هنا نقول إن الغريزة الجنسية عند الشباب، غريزة طبيعية مثل الغرائز الأخرى، كالطعام والتملك وغيرها، وإن كانت أقوى الرغبات وأعنفها!! لحكمة أرادها الله من أجل عمارة الحياة وحفظ التناسل فى الوجود؟ ولذلك يقدم لها الإسلام أوجه العلاج لهذه الدفعة الغريزة الحادة.

وما أحرى شبابنا أن يعود إلى ينابيع الإسلام لكى يلتمس منه العلاج والضمانات الوقائية التى تعفيه مشقة الوقوع فى الأمراض العصبية والنفسية والصراع الداخلى.

كما أن المرأة المسلمة لها دور، ودور خطير فى المحافظة على عرضها، وجسدها من العيون الجائعة لكى ترضى الله سبحانه وتعالى أولا، ولكى تحافظ على سلامة المجتمع التى تعيش فيه ثانيا. وإن هى صدقت فى ذلك سعدت فى الدارين الدنيا والآخرة.

**مشكلة (فقدان الهوية والانتماء):**

لاشك أن الشباب ، يود أن يحس بوجوده وبانتمائه إلى المجتمع الذى يعيش فيه، ويرفل فى ظلاله، وأن المعركة الدائرة من اعداء الإسلام هو العمل على تغريب الشباب وتمييع هويته، وأن يفقد الانتماء إلى المجتمع الذى يعيش فيه.

**وهناك عدة اقتراحات لإعداد الشباب إعداداً طيبا:**

١- لابد كما قلت من تضافر رجال العلم والتربية وعلم النفس والاجتماع ووضع منهج شامل ينطلق من أيدلوچيا اسلامية لمعالجة كافة قضايا الشباب الاجتماعية والنفسية والتربوية ومحاولة تعميق مفهوم الانتماء إلى وطنهم ومجتمعهم الذى يعيشون فى ظلاله.

٢- جعل المؤسسة التعليمية مؤسسة لتربية الشخصية المسلمة المتكاملة بحيث يتدرب فيها بالممارسة على:

أ- الجندية بما يتعلق بها من مسئوليات وتكاليف وحقوق عن طريق الممارسة العملية.

ب- القيادة بما تتطلبه من مؤهلات وما يترتب عليها من مسئوليات وحقوق وتكاليف.

جـ- الحرية فى إبداء الرأى المعتمد على الحجة والحق والمنطق وقبل آراء الآخرين ، والتعبير عن الرأى، وصولاً إلى الحق دون خوف أو إحباط.

٣- دور المسجد بمعناه الشامل فى تعميق الانتماء لدى الفرد

المسلم، فلقد كان المسجد من قبل جامعا وجامعة، وكان له دوره الحضارى والريادى فى توجيه عقول الشباب فالمسجد هو الذى يعلم الشباب العبادة بمفهومها الصحيح وينبغى أن نهتم بمساجدنا، وأن تكون بمثابة إشعاع فكرى فى المجتمع.

٤- تذويد الشباب بالثقافة الإسلامية العالية، وخاصة بعد الموجة الاتية من الفكر الالحادى كالوجودية وغيرها من المذاهب الوضعية والرد على مزاعم المستشرقين وتفنيد دعاويهم، حتى يعتز الشباب بثقافتهم ولايفقدون هويتهم.

٥- تذويد الشباب بالمعارف العامة عن حياتنا التاريخية ورموز الحضارة الاسلامية الاعلام كابن الهيثم - الشافعى - ابن النديم - ابن رشد - ابن سينا.

٦- تعريف الشباب بأن أجدادنا هم أصحاب الفضل والسبق على الحضارة الاسلامية، بل والحضارة الغربية مدينة لاسلافنا العرب والسلمين فى إستيعاب المناهج العلمية وذلك باعتراف اعلامهم كفرنسيس بيكون وغيره مما يعزز الثقة بالنفس لدى الشباب المسلم ويخلصه من عقدة القصور الشخصى تجاه الفكر الوافد أو الغربى.

اعتقد أن هذه النقاط وغيرها الكثير يجب أن يقف الشباب العربى والاسلامى عليها حتى نستطيع أن نخلصهم من إشكالية فقدان الهوية وعدم الانتماء وهى تعتبر من أخطر المشاكل وأجدرها بالبحث والاهتمام؟.

# الفصل الثالث

# تحـــــرير المـــــــرأة

# فى عصر النبوة

## مكانة المرأة فى التصور الإسلامى:

احتفى القرآن الكريم ، أيما احتفاء بالمرأة ومكانتها ، وأعطاها مكانة سامية، ولم يحظ مذهب من المذاهب، أو أى دين من الأديان بمثل هذا الاهتمام ، فلقد كانت المرأة عند اليونان والرومان تعامل معاملة الرقيق، على النقيض من هذا نجد أن القرآن الكريم قد أفرد العديد من السور القرآنية التى تولى العناية بشئون المرأة مثل سورة النساء، وسورة الطلاق ، والبقرة، والمائدة ، والنور ، والأحزاب ، والمجادلة ، والممتحنة ، والتحريم.

فالقرآن الكريم، يقرر للمرأة حقوقها كاملة غير منقوصة ﴿**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف**﴾ الآية ٢٢٨ من سورة البقرة.

وفى هذا الصدد يعلق الشيخ محمد عبده فى تفسير المنار: «فهذه الجملة تعطى الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته فى جميع الشئون والأحوال، فإذا هم بمطالبتها ، بأمر من الأمور يتذكر أنه يجب عليه مثله بإزائه، ولهذا قال ابن عباس -رضى الله عنهما- : إننى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى لهذه الآية، وليس المراد بالمثل المثل بأعيان الأشياء وأشخاصها، وإنما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة وأنهما اكفاء. فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله لها ، إن لم يكن مثله فى شخصه، فهو مثله فى جنسه، فهما متماثلان فى الحقوق والأعمال، كما أنهما متماثلان فى الذات والإحساس والشعور والعقل، أى أن كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر فى مصالحه، وقلب يحب مايلائمه ويسر به، ويكره ما لايلائمه وينفر منه، فليس من العدل أن يتحكم أحد

الصنفين بالآخر ويتخذه عبدا يستذله ويستخدمه فى مصالحه، ولاسيما بعد عقد الزوجية والدخول فى الحياة المشتركة، التى لاتكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه»(١).

ويعقب الاستاذ الإمام على كلامه يقول: «هذه الدرجة التى رُفِعَ النساء إليها لم يعرفن إليها دين سابق ولاشريعة من الشرائع، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولابعده، وهذه الأمم التى كان من آثار تقدمها فى الحضارة والمدنية أن بالغت فى تكريم النساء واحترامهن، وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون ، لاتزال دون هذه الدرجة التى رفع الإسلام النساء إليها، ولاتزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف فى مالها بدون إذن زوجها، وغير ذلك من الحقوق التى منحتها إياها الشريعة الإسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف، وقد كان النساء فى أوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الأرقاء فى كل شئ كما كن فى عهد الجاهلية عند العرب أو أسوأ حالا. ونحن لانقول: إن الدين المسيحى أمرهم بذلك لأننا نعتقد أن تعليم المسيح لم يخلص إليهم كاملا سالما من الإضافات والبدع، ومن المعروف أن ماكانوا عليه من الدين لم يرق المرأة وإنما كان ارتقاؤها من أثر المدنية الجديدة فى القرن الماضى(٢).

فالمرأة فى نظر الإسلام، ليست مجرد متاع للرجل يتصرف فيها كيفما يشاء، وإنما لها حقوق وعليها واجبات، والمرأة فى مسألة

---

(١) الشيخ محمد عبده، تفسير المنار، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٢، ص ٢٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩٨.

التكاليف هي والرجل سواء بسواء ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾.

إن القرآن يطالعنا في آيات كثيرة أن المرأة والرجل قد خلقا من أصل واحد، وأن القرآن قد أعلى من قدرها ومكانتها، أدلّ على ذلك من تركيزه بحق الوالدين: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ الآية ٢٣ من سورة الإسراء.

لم تكن المرأة في التصور الإسلامي مجرد تابعة للرجل، أو مواطن من الدرجة الثانية بلغتنا المعاصرة، ولقد رفع القرآن من شأنها، وجعل لها المقام الرفيع.

ولما كانت المرأة مساوية للرجل في التكاليف والعبادات فهي مسئولة عن الثواب والعقاب في الآخرة، ولاتنفعها طاعة زوجها أو معصيته، إن هي زلت الطريق إلى الله ﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ الآية ١٩٥ من سورة آل عمران.

من أجل هذا، نرى أن المرأة المسلمة، مسئولة مسئولية كاملة أمام الله عن دورها في الحياة، وعليها مدار الكثير من الأمور إذ هي مشاركة الرجل في تربية النشئ، وفي تربية العقول، ومن ثم إقامة الحضارة والعمران.

ومن هنا أوجب الإسلام على المرأة أن تتعلم أمور دينها من معرفة العقائد.

فهناك صنف من الناس يريد من المرأة، أن تعود إلى عصور الظلام والتخلف وكأنها مجرد دمية يلهو بها الرجل، وصنف آخر من المغالين فى الدين يلزموها بأمور ما أنزل الله بها من سلطان. فالاسلام يريد المرأة المسلمة التى تعرف أين يكون موقعها الحقيقى من الحضارة.

وكما يقول الشاعر:

**الأم مدرسة إذا أعددتها     أعددت شعباً طيب الأعراق**

فأين نحن اليوم ... من حال المرأة فى عصر النبوة، فلقد كانت المرأة فى العهد النبوى واعية لشخصيتها التى قرر الإسلام الحنيف معالمها ثم إنها مارست الحياة فى مختلف مجالات الحياة إنطلاقا من هذا الوعى.

وسوف اضرب بعض الأمثلة فقط - فى الحدود المرسومة - لعرض الموضوع إذ أن عرض دور المرأة ومشاركتها فى الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية ومكانتها فى التشريع يحتاج إلى دراسة مستوعبة، ربما يتيسر لنا الوقت والظروف فى إنجاز هذه الدراسة.

**مشاركة المرأة فى العبادات الجماعية:**

مما يؤسف له أن هناك بعض المنتسبين للإسلام، يحاولون أن يجعلوا المرأة قابعة فى المنزل لاتخرج إلا عند موتها، وما كان هكذا حال المرأة فى صدر الإسلام ، وطوال القرون الأولى الزاهرة، ومازلنا نجنى المر والعلقم، من جراء غياب المرأة المسلمة عن وعيها ، فهى أصبحت تقبل الدنية من دينها ، وما يهمها هو مجرد إرضاء شهوة بعلها ورغباته، وأما

دورها الخطير فى الحضارة الإسلامية، فاعتقد أنه أصابه فتور شديد، فعن عائشة -رضى الله عنها- قالت: «كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله -ﷺ- صلاة الفجر متلفعات بمروطهن[1] ثم يتقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لايعرفهن أحد من الغلس»[2]، وأن النبى -ﷺ- قال: «لاتمنعوا إماء الله مساجد الله» رواه مسلم.

## المرأة المسلمة دورها الحضارى والثقافى فى المسجد:

المسجد هو النواة الأولى للعبادة، وهو فى الإسلام بمثابة مركز اشعاع ثقافى وحضارى واجتماعى، ولقد كانت المرأة المسلمة فى الصدر الأول تذهب إلى المسجد تؤدى الصلاة، وتحضر دروس العلم، وتتوثق عرى الرحمة والمودة بين المؤمنات ، وقد حرص الرسول -ﷺ- على تأكيد حق المرأة فى غشيان المسجد وصيانة حق المرأة من أى عدوان: فعن عبد الله بن عمر قال: «كانت أمرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء فى الجماعة فى المسجد فقيل لها، لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهانى؟ قال: يمنعه: قول رسول الله -ﷺ-: لاتمنعوا إماء الله مساجد الله».

ولقد كانت المرأة المسلمة، عالمة، وباحثة، وتستفيد وتتعلم أمور دينها، ويذكر التاريخ الكثير من راويات الحديث، السيدة عائشة -رضى الله عنها- ، السيدة حفص، السيدة أم سلمة ، السيدة زينت بنت جحش ، السيدة أم حبيبة ، السيدة جوجرية ... الخ.

---

(١) مروطهن: كساء معلم من حز أو صوف.

(٢) الغلس: ظلمة آخر الليل بعد طلوع الفجر.

فقد كانت ايضا حريصة على طلب العلم: عن أبى مليكة أن عائشة زوج النبى -ﷺ- كانت لاتسمع شيئا لاتعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبى -ﷺ- قال: من حوسب عذب. قالت عائشة: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾. قالت فقال: انما ذلك العَرْضُ ولكن من نوقش الحساب يهلك.

## الإسلام يحافظ على كرامة المرأة:

جاء الإسلام ليحافظ على المرأة من الابتذال ومن العيون الجائعة، ومن النظرة الحرام، وأراد لها العيش فى مجتمع نظيف عفيف، فجاءت سورة النور، وقد اشتملت على الكثير من الآداب والقيم الأخلاقية والدروس التربوية والمواعظ والحكم الإلهية، التى إذا تمسك المسلمون بها فازوا فى الدنيا والآخرة، ولذلك قال عمر بن الخطاب لأهل الكوفة: «علموا نساءكم سورة النور. لما فيها من معان جليلة وعظيمة. مثل الدعوة إلى غض البصر سواء من الرجال أو النساء ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ سورة النور الآية ٣٠ ، ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو أبائهن ... لعلكم تفلحون﴾ الآية ٣١ ، كما أشارت السورة إلى الحجاب الشرعى، وحد الزنا ، وحد القذف ، وحد اللعان ، وآداب الاستئذان فى دخول البيوت.

فسورة النور ترسم منهج واضح للمرأة المسلمة فى حياتها الاجتماعية، وسورة النور تضع الضوابط والضمانات الوقائية للمحافظة على كرامة المرأة، وعفتها. ولمن أراد مزيدا الرجوع إلى التفاسير فى هذا

الموضوع*.

**المرأة المسلمة شاركت فى كافة ميادين الحياة:**

إن المرأة المسلمة أخذت نصيبا وافراً من التوقير فى عصر النبوة، وكما يذهب الشيخ محمد الغزالى: «لقد شاركت المرأة فى بيعة العقبة الكبرى وشاركت فى بيعة الرضوان تحت الشجرة! ومن المؤكد أنها كانت ستمنع من هذه المبايعات فى تاريخ المسلمين، وسيقال لها: امكثى فى بيتك»[١].

ومن المؤسف أننا مازلنا ننظر إلى المرأة على أنها مواطن من الدرجة الثانية «إن جاز لى استخدام التعبير»، وربما يعود هذا إلى أثر التخلف والانزواء الذى عانت منه المرأة من مخلفات العصر التركى طيلة مايقرب من ثلاثة قرون.

إن المصلح الإجتماعى فى كل زمان ومكان، يجعل نصب عينية دائما قضية تعليم المرأة، وأن تتبوأ مكانها اللائق من الحضارة، فلقد كانت هذه رسالة المصلحين فى عصرنا الحديث، «رفاعة رافع الطهطاوى» فلقد كان داعياً إلى تعليم المرأة فى كتابه «المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين». وسار علي نفس الدرب الشيخ محمد عبده ثم بعد ذلك دافع عن المرأة بجرأة وشجاعة قاسم أمين أو ما مشهور به «تحرير المرأة»، وهو ما سأعرض له فى الصفحات القادمة.

(*) ليس موضوعنا التعرض للسورة بالتفسير، وحاولنا فقط أن ننبه الأذهان إلى مدى اهتمام الإسلام بالمرأة فى حياتها الواقعية ولمن اراد مزيدا الرجوع إلى التفاسير مثل تفسير ابن كثير، تفسير القرطبى، تفسير الجلالين، تفسير المنار، تفسير فى ظلال القرآن.

(١) محمد الغزالى، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، الناشر دار الشروق، طبعة أولى، ص ٦٦.

# تحـــــرير المـــــــرأة
# عند قاسـم أمين
# «فى الفكر الحديث وبرؤية نقدية»

# تحرير المرأة عند قاسم أمين

## قاسم أمين وتحرير المرأة (١٨٦٣ - ١٩٠٨)[١]:

لعلى لا أكون مبالغاً إذا قلت أن هناك بعض الدارسين لايعرفون فكر قاسم أمين، ولم يجشموا أنفسهم عناء الوقوف على فكره، وهناك البعض ممن لو سمع عن «قاسم أمين» لحكم علي فكرة جملة بالكفر والزندقة، ونحن تعلمنا من أصول المنهج العلمي، النقد الموضوعي، والنقد البناء، والقراءة البريئة الغير محكومة بأيدلوچيا معنية أو أية أحكام مسبقة، ومن هنا سوف أقف وقفة يسيرة على فكر الرجل، وموقفه من قضية تحرير المرأة.

قُدرَ لقاسم أمين أن يكون فى فترة تاريخية ، تحمل بذور أفكار الوعى والتحرر من قبضة الإستعمال الإنجليزى.

كان جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده قد تواعدا على أن يلتقيا فى باريس لمواصلة جهودهما، من أجل تكتل المسلمين من أجل محاربة الإستعمار فى مصر، ولم يضيعا وقتهما، فبدأ بتأليف جمعية العروة الوثقى السياسية والتقى قاسم أمين بهما فى فرنسا، واتخذه محمد عبده مترجما له على أن يعلمه اللغة الفرنسية بعد ذلك. وانضم قاسم أمين إلى جمعية العروة الوثقى ورأى فيها تنفسا لأشجانه وآماله[٢].

---

(١) بالنسبة لحياته ونشأته يمكن الرجوع إلى كتاب قاسم أمين للدكتور محمد عمارة، الناشر دار الشروق، ص ١٥ - ٢٧.

(٢) د. ماهر حسن فهمى، قاسم أمين، ص ٤١.

فى ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ صدر العدد الأول من جريدة العروة الوثقى، وكانت الأفكار كلها للسيد جمال الدين الأفغانى، والأسلوب للشيخ محمد عبده، وتحدث العدد الأول عن ضعف المسلمين لافتراق الكلمة ، وعن امتصاص الدول الاجنبية والمستبدين اموال الشعوب واستنزاف ثرواتهم مثلما حدث فى مصر، ومن هنا فكر المسلمون والمثقفون منهم فى اصدار هذه الصحيفة بمدينة باريس.

قرأ قاسم أمين كل أعداد العروة الوثقى، وتأثر بها تأثيرا بالغاً، دفعه إلى أن يكتب بعد حين يمثل هذه الروح الدفاقة التى تعلمها منها[١].

وعندما ألف الدوق داكور كتابه مصر والمصريين سنة ١٨٩٣م يسخر منها من ضعف الروح الوطنية فى مصر وأن الإسلام سبب تأخر المسلمين، قرأ قاسم أمين هذا المؤلف، وأصيب بحمى لازمته عشرة أيام ولم يهنأ للرجل بال ودافع عن هذه المفتريات فى كتاب أصدره فى أواخر عام ١٨٩٣ بالفرنسية، وهكذا استطاع الرجل أن يرد على نزعات التعصب الأحمق من هذا الرجل.

نقول هذا كمدخل موجز لموضوعنا تعليم المرأة المسلمة ودورها فى التحدى الحضارى، وأن المفكرين الثوار دائما أفكارهم تسبق زمانهم، قد تختلف معهم فى رأى أو أكثر من الآراء -لكن- ليس من الأمانة العلمية فى شئ، ولا من المنهج الموضوعى أن نصادر على فكر هؤلاء، وأن ننصب من أنفسنا محاكم تفتيش تذكرنا بمحاكم التفتيش فى

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٢.

العصور الوسطى.

يبدأ قاسم أمين مستهلاً كتابه «تحرير المرأة»، المشهور للعامة والخاصة بقوله: «إنى أدعو كل محب للحقيقة أن يبحث معى فى حالة النساء المصريات، وأنا على يقين من أنه يصل وحده إلى النتيجة التى وصلت إليها وهى ضرورة الإصلاح فيها. هذه الحقيقة التى أنشرها اليوم شغلت فكرى مدة طويلة، كنت خلالها وأمتحنها وأحللها حتى إذا تجردت عن كل ما كان يختلط بها من الخطأ استولت على مكان عظيم من موضع الفكر منى، وزاحمت غيرها، وتغلبت عليه وصارت تشغلنى بورودها، وتنبهنى إلى مزاياها، وتذكرنى بالحاجة إليها، فرأيت أن لامناص من إبرازها من مكان الفكر إلى فضاء الدعوة والفكر»(١).

إذن، بداية الدعوة عند قاسم أمين هو إصلاح حال المرأة، لأنه ينعى حالها وما آل إليه مصيرها فى عصره، من انحطاط وجهل، وتخلف فى ميادين الحياة بل يعتبر هذا، أساس المشكلات التى يواجهها المجتمع المصرى فيقول: «وهذا هو الأصل فيما نشهده ونؤيده ويؤيده الاختبار التاريخى من التلازم بين انحطاط المرأة وانحطاط الأمة وتوحشها، وبين ارتقاء المرأة وتقدم الأمة ومدنيتها، فقد علمنا أن حال المرأة فى ابتداء تكون الجمعيات الإنسانية كانت لاتختلف عن حالة الرقيق فى شئ، وكانت واقعة عند الرومان واليونان مثلا تحت سلطة أبيها ثم زوجها ثم بعده اكبر أولادها. وكان لرئيس العائلة عليها حق الملكية المطلقة فيتصرف فيها بالبيع والهبة والموت متى شاء، ويرثها من بعده ورثته

---

(١) قاسم أمين، تحرير المرأة، الناشر دار المعارف، بدون تاريخ، ص ٢٩.

بما عليها من الحقوق المخولة لمالكها. وكان من المباح عند العرب قبل الإسلام أن يقتل الآباء بناتهم وأن يستمتع الرجال بالنساء من غير قيد شرعي ولاعدد محدود، ولاتزال هذه السلطة الآن سائدة عند قبائل إفريقيا وأمريكا المتوحشة. وبعض الأمم الأسيوية يعتقد أن المرأة ليس لها روح خالدة، وأنها لاينبغي أن تعيش بعد زوجها، ومنهم من يقدمها إلى ضيفه إكراماً له كما يقدم له أحسن متاع يمتلكه»(١).

أما في البلاد التي ارتقت إلى درجة عظيمة من التمدن فإنا نرى النساء أخذن يرتفعن شيئا فشيئا من الانحطاط السابق وصرن يقطعن المسافات التي كانت تبعدهم عن الرجال: هذه تحبو وتلك تخطو وهذه تمشي وتلك تعدو، كل ذلك بحسب حال الجمعية التي تنتسب إليها ودرجة المدنية فيها. فالمرأة الأمريكية في أول صف، ثم تتلوها الإنجليزية وتأتي بعدها الألمانية وتليها الفرنسية ثم النمساوية ثم التليانية ثم الروسية ... الخ ، كلها نفوس شعرت أنها حقيقة بالإستقلال ، فهي تبحث عن الوسائل لنيله وأنها جديرة بالحرية فهي تسعى للوصول إليها، وأنها من نوع الإنسان فهي تطالب بكل حق للإنسان(٢).

والغربي الذي يجب أن ينسب كل شئ حسن إلى دينه يعتقد أن المرأة الغربية ترقت لأن دينها المسيحي ساعدها على نيل حريتها ولكن هذا الاعتقاد باطل، فإن الدين المسيحي لم يتعرض لوضع نظام يكفل

---

(١) قاسم أمين، المرجع السابق، ص ٣٤.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

حرية المرأة ولم يبين حقوقها بأحكام خاصة أو عامة، ولم يرسم للناس فى هذا الموضوع مبادئ يهتدون بها. وقد أقام هذا الدين فى كل أمة دخل فيها بدون أن يترك أثرا محسوساً فى الأخلاق من هذه الجهة، بل تشكل نفسه بالشكل الذى أفادته إياه أخلاق الأمم وعاداتها. **ولو كان لدين ما سلطة وتأثير على العوائد لكانت المرأة المسلمة فى مقدمة نساء الأرض**[1].

هكذا يرى قاسم أمين أن المرأة المسلمة لوطبقت دينها فى حياتها لكانت فى مقدمة نساء الأرض من الرقى والتمدن والحضارة، بل إن شريعتنا بالغت فى الرفق بالمرأة، فوضعت عنها أحمال المعيشة ولم تلزمها بالإشتراك فى نفقة المنزل وتربية الأولاد خلافاً لبعض الشرائع الغربية التى سوت بين الرجل والمرأة فى الواجبات فقط، وميزت الرجل فى الحقوق.

ولابد أن نأخذ فى الاعتبار أن قاسم أمين قد اشتغل بالقضاء والفقه، ومن ثم فمرجعية قاسم أمين وتربيته فى الأصل، مرجعية إسلامية، قد تختلف معه فى رأى أو أكثر، -لكن- لابد أن نقدر أن أيدلوجيته الفكرية لاتبتعد كثيرا عن المرجعية الإسلامية.

وينقد قاسم أمين ما آل إليه حال المرأة فى نظر الرجل فى عصره، من أن الرجل سواء يجلس على مائدة الطعام وحده، وأن يسجنها زوجها فى منزل ويفتخر بأنها لاتخرج منه إلا محمولة على النعش إلى القبر أو يحال بينها وبين الحياة العامة وأى فكر نافع؟

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٥.

كان قاسم أمين مشخصاً لما آل إليه حال المرأة المسلمة من تخلف وانزواء عن كل ماهو نافع ولذلك يدرك قاسم أمين بثاقب فكره وبعد نظره، أن الطريق الى الرقى بالمرأة لن يتأت إلا بالتربية والتعليم.

فهو يعتقد: أن المرأة لايمكنها أن تدير منزلها إلا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية والأدبية، فيجب أن نتعلم كل ماينبغى أن يتعلمه الرجل من التعليم الابتدائى على الأقل حتى يكون لها إلمام بمبادئ العلوم يسمح لها بعد ذلك بالاشتغال به متى شاءت.

فإن تعلمت المرأة القراءة والكتابة واطلعت على أصول الحقائق العلمية، وعرفت مواقع البلاد، وأجالت النظر فى تاريخ الأمم ووقفت على شئ من علم الهيئة «الهندسة» والعلوم الطبيعية، وكان حياة ذلك كله فى نفسها عرفانها العقائد والآداب الإسلامية، استعد عقلها لقبول الآراء السليمة، وطرح الخرافات والأباطيل التى تفتك الآن بعقول النساء[١].

يولى قاسم أمين عناية خاصة بتعليم المرأة وتثقيفها، ولوعدنا إلى الوراء لوجدنا أن هذه هى دعوة الإسلام الأولى، فلقد كانت الخنساء من أعلام الشعراء فى زمانها، وغيرها الكثير، كما ذكرنا اثناء عرضنا لتحرير المرأة فى عصر النبوة، فلا يتناقض ماذهب إليه قاسم أمين فى هذا الصدد مع مبادئ الاسلام والسمحة، بل اعتقد أن انزواء المرأة عن ميدان العلم والتعليم هو سبب رئيسى من أسباب تخلف الأمة بل يذهب قاسم أمين إلى أبعد من ذلك، نحو ضرورة ربط التعليم بالفضائل

(١) المرجع السابق، ص ٤٢.

الخلقية أو على حد تعبيره الفضائل التى لها أثر فى معاملة الأهل وحفظ نظام القرابة، والفضائل التى يظهر فى نظام الأمة.

لقد كانت دعوة قاسم أمين دعوة صارخة لمحاربة الجهل والتخلف فى كافة ميادين الحياة.

**ولعلنا نتساءل: هل صحيح كان دعوة قاسم أمين فى كتابه تحرير المرأة إلى السفور والتبرج والإباحية كما يعتقد البعض أم دعوة إلى الإلتزام بقيم الإسلام؟.**

اعتقد من جانبى أن قاسم أمين فى كتابه تحرير المرأة الذى سطره، فى وقت كانت المرأة فى أمس الحاجة إليه كى تأخذ حظها من التعليم والتمدن.

ويرى قاسم أمين أن الإلتزام بالشريعة الإسلامية أمر لاينبغى أن يجادل فيه مجادل أو على حد قوله: أن الأوامر الالهية يجب الاذعان اليها دون بحث أو مناقشة[1]. ثم يعرض قاسم أمين للحجاب الشرعى ويستشهد بالآيات القرآنية فى سورة النور: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ما ظهر منها . وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال**

(١) نفس المرجع ، ص [illegible]

أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء . ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن﴾.

ويعرض قاسم أمين لمختلف آراء الفقهاء حول الحجاب الشرعى ويميل إلى الرأى الراجح عند غالبية العلماء وهو أن جسد المرأة كله عورة عدا الوجه والكفين ويستشهد فى ذلك عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: «إن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله -ﷺ- وعليها ثياب رقاق، فقال لها يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه».

وينتقد قاسم أمين وضع المرأة فى زمانه يقول: خولت الشريعة للمرأة ما للرجل من حقوق، وألقت عليها تبعة أعمالها المدنية والجنائية، فللمرأة الحق فى إدارة أموالها والتصرف فيها بنفسها، فكيف يمكن للرجل أن يتعاقد معها من غير أن يراها ويتحقق من شخصيتها ؟[1].

ومن غريب وسائل التحقق أن تحضر المرأة مغلقة من رأسها إلى قدميها، أو تقف من وراء ستار أو باب، ويقال للرجل ها هى ذى فلانة التى تريد أن تبيعك دارها أو تقيمك وكيلا فى زواجها مثلا، فتقول المرأة بعت أو كلت، ويكتفى بشهادة شاهدين من الأقارب أو الأجانب علماً بأنها هى التى باعت أو كلت والحال أنه ليس فى هذه الأعمال ضمانة يطمئن لها أحد. وكثيرا ما أظهرت الوقائع القضائية سهولة الغش والتزوير فى مثل هذه الأحوال[2].

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٣.

(٢) نفس المرجع، نفس الصفحة.

وما يهمنا ونحن نقدم رؤية جديدة وتحليل جديد لفكر قاسم أمين أن نثير التساؤلات ، هل بحق أنكر قاسم أمين الحجاب بالمعنى الشرعى على المرأة المسلمة؟

لو كان قد ذهب إلى ذلك لما أتى بالحجة الدامغة والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية كما ذكرنا ، -ولكن- قاسم أمين يعلن ثورته عن تراجع المرأة عن ميدان الحياة وانزوائها فى غياهب الجهل والتخلف، ولسنا هنا فى موقف الدفاع عن قاسم أمين أو التعاطف معه؟ ولكننا نعرض لبعض أفكاره بأمانة وحسب، فقاسم أمين يعلن نفوره من النقاب الذى كانت تغطى به المرأة نفسها آنذاك، ولسنا هنا فى موقف الفصل فى هذه النقطة فللعلماء آراء مختلفة بصدد هذا الموضوع يمكن الرجوع إليها فى مظانها لمن أراد مزيداً. والسؤال ... هل كان قاسم أمين يدعو للتحرر بالمعنى الغربى فى كتابه «تحرير المرأة» ؟.

وينتقل قاسم أمين الفقيه فى كتابه إلى تحليل العديد من القضايا والموضوعات مثل آداب الاستئذان، وصوت المرأة وغيره من الموضوعات حتى يخلص إلى أن المرأة فى الشريعة الإسلامية يجب أن تقوم بدورها المناط بها وأن لاتتخلف عن كافة ميادين الحياة.

ولكن يبدو أن قاسم أمين قد تأثر بالحضارة الغربية وأثرت فى فكره إلى حد غير قليل فنجده فى بعض المواضع ينتصر للفكر الغربى على حساب المرجعية الإسلامية وخاصة فى قضية اختلاط الرجال بالنساء ويرى أن المرأة التى تخالط الرجال اكثر قدرة وعفة من التى لاتخالطهم، وإن كنا ننتقد قاسم أمين فيما ذهب إليه فى هذا الصدد ،

إذ أن بيت القصيد يعود إلى التربية الإسلامية للمرأة، فالمرأة المسلمة حقيقة هي التي تغض بصرها وتحفظ فرجها فإما أن يكون مدار الأمر أن الأختلاط يقوى المرأة فهذا مالا يحبذه الإسلام، بل إن الإسلام يرى أن التزام المرأة بخلقها ومظهرها ومخبرها هو المقياس فى التزامها. ولعل قاسم أمين -فيما نعتقد- لم يكن موفقا فى معالجة هذه النقطة.

وأحب أن أنقل ما ذهب إليه: «وهذا مما يحمل على الاعتقاد بأن المرأة التى تخالط الرجال تكون أبعد عن الأفكار السيئة من المرأة المحجوبة. والسبب فى ذلك أن الأولى تعودت رؤية الرجال وسماع كلامهم. فإن رأت رجلا أيا كان لم يحرك منظره منها شيئا من الشهوة، بل لو عُرض عليها شئ من هذا فإنما يكون بعد مصاحبة طويلة وقضاء أوقات فى خلوات كثيرة يحدث فيها ما قد يشعر كل واحد منهما بالجذاب إلى الآخر، وهذا هو ما منعته الشريعة أما الثانية فمجرد وقوع نظرها على رجل يحدث فى نفسها خاطر اختلاف الصنف من غير شعور ولاتعمد ولانية سيئة وانما هو أثر منظر الرجل الأجنبى لأنه قد وقر فى نفسها ألا تراه ولايراها. فمجرد النظر إليه كاف فى إثارة هذا الخاطر[1].

وإنى اطرح على قاسم أمين الفقيه عدة تساؤلات، كيف سولت له نفسه مثل هذا الفكر، والرسول يعلمنا أن النظرة سهم مسموم من سهام أبليس، والنظرة الأولى لك «النظرة البريئة» والثانية عليك «النظرة القاصدة»؟ وأن الرغبة والشهوة متأصلة فى النفس البشرية، ومن هنا

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٢.

يحذرنا القرآن الكريم من النظرة الحرام سواء كنا رجالا أو نساءً. ولكن يبدو أن قاسم أمين المصلح هنا قد انتصر على قاسم أمين الفقيه!!

وهل بعد كل هذا، نستطيع أن نقول إن قاسم أمين يعتبر من المفكرين الثوار ... بل والأحرار؟!.

* * * * *

# الفصل الرابع

# حضـــــارة إســـــــلامية

«مفهومها - مقوماتها - مظاهر الأخلاق فيها»

# حضارة إســلامية

ماهى الحضارة ؟:

نود أن نشير فى البداية إلى أن تعريف الحضارة يعنى، الانتقال من الحالة البدائية الأولى إلى حالة تحضر أكثر رقيا وتقدما، والحضارة نتيجة تفاعل الإنسان مع البيئة. وهى تشمل جميع المظاهر الاجتماعية والسياسية والثقافية والعلمية والدينية للحياة الإنسانية . والحضارة مثل الافراد، تنشأ وتنمو وتزدهر. فهى ليست ظاهرات ساكنة وجامدة، ولكنها تخضع لحركة التاريخ. وقد يكون التاريخ والزمن سببا فى انحلال بعض الحضارات وأفولها، ولكن تظل الآثار شاهدة عليها[١].

ويذهب بعض الباحثين أنه ليس للحضارة مفهوم واحد متفق عليه، فقد كانت عند علماء القرن السابع عشر والثامن عشر تعد شكلاً من أشكال الثقافة، لأن العلماء كانوا متأثرين بالمكتشفات العلمية التى تكشف عنها عصرهم، وأدت إلى تقدم فى مجال الحياة الاجتماعية والفردية وعندئذ بدت الحضارة عندهم مجموعة من القيم والنماذج تحققها الإنسانية من خلال تطورها، ومجموعة أنماط اجتماعية وأخلاقية وصناعية تحققها المجتمع فى نشاطه توصلا إلى سعادة مواطنيه والتقدم العلمى -مسبوقا ومصاحبا للازدهار الفنى الأدبى- أظهر معالم الحضارة وأقوى مسبباتها.

والانثروبولوچيون وعلماء الاجتماع الأوائل من أمثال «أميل دوركايم» و «مارسيل موريس» ومعظم العلماء الأمريكيين والفرنسيين

(١) د. ناذلى اسماعيل، فلسفة الحضارة، ص ١.

يوحدون بين مدلول الحضارة ومدلول الثقافة ، وإن قيل إن الثقافة هي كل استنارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو المجتمع، وتشمل المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق، وجميع القدرات التى يسهم الفرد فى مجتمعه.

ولكل جيل ثقافته التى استمدها من الماضى وأضاف إليها ما أضاف فى الحاضر وهى عنوان «المجتمعات البشرية» أما الحضارة فهى جملة مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى مما ينتقل من جيل إلى جيل فى مجتمع أو مجتمعات متشابهة ... ويفرق عادة بينها وبين الثقافة على أساس أن الثقافة ذات طابع فردى، وتنصب خاصة عليالجوانب الروحية، بينما تبدو الحضارة ذات طابع اجتماعى ومادى[١].

وأيا تكن التعريفات التى تعرض لمفهوم الحضارة، فإننا نستطيع القول أن الحضارة تعنى السير فى عالم المادة وعالم الروح، وبعبارة أخرى أن الحضارة بالمفهوم الإسلامى تعنى الارتقاء فى عالم القيم والابداع فى عالم المادة.

ويبين لنا العلاقة عبد الرحمن بن خلدون كيف أن الحضارة إذا تغلب الجانب المادى فيها على الجانب الروحى، كانت شقوة الإنسان.

يقول: «أن الحضارة غاية للبداوة وأن العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقه له عمر محسوس، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمراً محسوساً. وتبين فى العقول والمنقول أن

---

(١) د. توفيق الطويل، الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية، مكتبة التراث الإسلامى، ص ٧.

الأربعين للإنسان غاية فى تزايد قواه ونموها، وأنه إذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر المنشوء والنمو برهة، ثم تأخذ بعد ذلك فى الانحطاط، فلتعلم أن الحضارة فى العمران أيضا كذلك. لأنه غاية لامزيد وراءها. وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلف بعوائدها. والحضارة كما علمت هى التقنين فى الترف واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التى توفق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيئة للمطابخ أو الملابس أو الفرش أو الآنية ولسائر أحول المنزل. وللتأنق فى كل واحد من هذه الصنائع كثيرة لايحتاج إليها عند البداوة وعدم التأنق فيها . وإذا بلغ التأنق فى هذه الأحوال المنزلية والغاية تبعة طاعة الشهوات، فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لايستقيم حالها معها فى دينها ودنياها: أما دينها فلا ستحكام صبغة العوائد التى يعسر نزعها ، وأما دنياها فلكثرة الحاجات والمؤونات التى تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها. وبيانه أن المصر بالتفتن فى الحضارة تعظم نفقات أهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران، فمتى كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل»[1].

وهكذا يحذرنا العلامة ابن خلدون منذ قرون خلت! من طغيان المادة وفساد الذمم والاخلاق أو على حد قوله آنف الذكر: أن المصر بالتقنين فى الحضارة تعظم نفقات أهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فمتى كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل.

(١) ابن خلدون، المقدمة، «جزء ثانى»، دار نهضة مصر ، تحقيق د. على عبد الواحد وافى، ص ٨٨٨.

ويشير أيضا عبد الرحمن ابن خلدون إلى هذه النظرة: أن من مفاسد الحضارة الانهماك فى الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف ، فيقع التقنين فى شهوات البطن من المآكل والملاذ ويتبع ذلك التقنين فى شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط فينفض ذلك إلى فساد النوع: إما بواسطة اختلاط الأنساب كما فى الزنا يتجهل كل واحد ابنه إذ هو لغير رشده لأنه المياه مختلطة فى الأرحام فتفقد الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون، ويؤدى ذلك إلى انقطاع النوع، أو يكون فساد النوع كما فى اللواط المؤدى إلى عدم النسل رأساً وهوأشد فى فساد النوع إذ هو يؤدى إلى أن لايوجد النوع والزنا يؤدى إلى عدم مايوجد منه[١].

ويخلص العلامة ابن خلدون إى: أن الحضارة المترفة تقضى على الأخلاق الفاضلة، بل نقول إن الأخلاق الحاصلة فى الحضارة والترف هى عين الفساد ، لأن الإنسان إنما هو إنسان باقتداره على جلب منافعه ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعى فى ذلك. والحضرى لايقدر على مباشرته حاجاته إما عجزاً لما حصل له من الدعة، أو ترفعا لما حصل له من المربى فى النعيم والترف وكلا الأمرين زميم[٢].

## روح الحضارات:

لكل حضارة روح تسرى فيها وطابع عام يميزها ومظاهر تتجلى فيها وكلها مستمدة من تصور أهلها للوجود والحياة والقيم ومن

(١) المرجع السابق، ص ٨٩٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٨٩٢.

تكوينهم كأمة لها خصائصها الحسية والمعنوية ومن شعورهم بذاتيتهم ورسالتهم فى الحياة ومن ظروف حياتهم ومكانتهم فى التاريخ.

والأمم قد تتشابه وقد تتباين، فى روحها ومواهبها فى عمل من أعمالها، وحضارتها تتشكل بعوامل ترجع إلى طبيعة الأمة وظروفها وقد يكون ذلك توجيه من مصدر أعلى، هو الذى يدبر الكون ويوجه الإنسان فيه.

ونحن عندما نتأمل الحضارات الأخرى نجد أنفسنا أمام تنوع لاحدود له، ونكتفى بذكر بعض الأمثلة:

هناك حضارة أخروية فى الروح المدافعة لها، لكنها علمية فنية فى مظهرها ووسائل التعبير عن ذاتها «حضارة مصر القديمة».

أو حضارة تنظيم اجتماعى بحسب مبادئ العدالة والمحبة الإنسانية وارساء العلاقات الاجتماعية المتعددة على أسس أخلاقية وتربية الإنسان من طريق التنوير الفكرى والإرشاد إلى القدوة الحسنة، وهذا من غير أن يكون هناك بحث عقلى حول حقائق الأشياء أو اتجاه إلى تصورات ميتافيزيقية، لكن مع عدم الجهل بكائن أعلى كامل هو المشرف والرقيب على الناس وأعمالهم ومع تصور لما يسمى «روح الإنسانية» أعنى يقابل لفظ «المروءة» عند العرب القدماء وتصور لشمائل الإنسان الرفيع وهى تقابل شمائل «الفتى» أو الفتى السيد عند العرب «الفلسفة الصينية كما يمثلها كونفو شيوس مثلا».

أو حضارة تسرى فيها روح المتشكك فى هذا العالم فترى أنه

«وهم» كما ترى فى الوجود الإنسانى نفسه شراً وألما وترسم الطريق للخلاص منه، وهذا مع تصورات يكتنفها الغموض من قبيل القول بالتناسخ بمعنى تنقل النفس الفردية فى شتى الصور إلى أن تتخلص من وجودها، أو القول بما يسمى «وحدة شاملة» وراء الاشياء، على الفرد أن يحارب فرديته وإرادة الحياة فى نفسه لكى يفنى منها، وهذه هى حالة الفناء، أو النرفانا -ونحو ذلك من تصورات فى الفلسفة الهندية، ومن الواضح أنها بوجه عام تصورات لاتشجع على الفاعلية على احتمال العبء الضخم الذى ينهض به من ينشئ حضارة.

أو حضارة شعب مفكر مرهف الحس والروح، يريد من طريق الاستنباط الفكرى أن ينشئ تصوراً عقليا للكون ولتنظيم الحياة، لكن مع شئ من النزعة الخيالية أو الفنية الشعرية وتصور الأشياء قياساً على الأمور الإنسانية، مع تبرير فكرة «الحقيقة» و «الفضيلة الانسانية» ومع طموح إلى شمول الإنسانية بمثل أعلى فكرى وإنسانى -وكل ذلك بالاستناد إلى مافى فطرة الإنسان من عقل وضمير «الحضارة اليونانية».

أو حضارة تريد منذ قرون أن تقوم على التمرد على السلطة فى كل شئ وعلى النقد للمعرفة إلى حد الشك والانطلاق فى التفكير حتى الوصول إلى أكثر التصورات تعارضاً، وهى تريد التجديد والتغير المستمروتتطور حتى تتداخل فى القوانين التى تحكم الأشياء مع الاستعانة بالعلم وتطبيقاته لتسخير قوى الطبيعة وتنظيم أمور الحياة على نحو آلى دقيق، عملاً بالشعار الذى وضعه منذ أوائل العصور

الحديثة الفيلسوف الانجليزى فرنسيس بيكون وهو قوله العلم قوة، وقوله يمكن إخضاع الطبيعة باطاعتها، لكن مع اهتمام بالإنسان وحقوقه وحاجاته ورفاهيته وحريته، غير أن هذا الاهتمام يتضارب فى مظاهره، ووسائله، بين مايشبه الحجر على الإنسان من كل وجه -وبين اطلاق حريته ليفعل مايشاء بنفسه ما يشاء، حتى يمكن أن يضر غيره، أو يهلك نفسه، وهذا كله بحسب اختلاف النظم والايدلوچيات والأهداف، مما أدى إلى تكتلات تعتد بالقوة المادية، وتهدد بانفجار قد يدمر الحضارة ومن أنشأها «الحضارة التكنولوچية الأوربية الحديثة التى لايسير فيها التقدم المعنوى والروحى والخلقى للإنسان، موازيا للتقدم المادى ويتنبأ لها بعض مفكريها بالانهيار[١].

وبالنسبة للحضارة الإسلامية، جاء فى كتاب حضارة العرب بالالمانية لمؤلفة يوسف هلْ بقول: تتسم الاديان كلها بأنها تطبع تاريخ الانسانية بطابعها، والمؤسسون والأنبياء والرسل لهم نصيبهم فى حضارة عصرهم وشعبهم. غير أنه لم يتهيأ لأية ديانة البتة أن تصير دفعة أولى ، وعلى نحو سريع ومباشر لحدوث تغيرات حركت الدنيا كما صار الإسلام، وكذلك لم يتهيأ لمبلغ دين إلى المدى الكامل، أن يصبح سيد عصره وشعبه كما أصبح محمد عليه الصلاة والسلام ولذلك فإنه من المستحيل كلية أن ندرك تطور الشعب الذى صار بفضل الإسلام حاملاً للحضارة وناشراً لها، ومن غير أن نعرف التعاليم التى كانت تقوده، وأيضا، فإنه بالنظر إلى خصوصية التاريخ الأول للإسلام

---

(١) د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، الحضارة الإسلامية أسسها الدينية ومميزاتها ومكانتها بين الحضارات العالمية، مجلة المسلم المعاصر العدد ٢٤، ص ٩.

يستحيل فصل تعاليمه عمن جاء بها، فالعلاقة بين الشخص والتعاليم، وبين التعاليم والسياسة وبين السياسة والتقدم الحضارى هى بناء الإسلام كالعلاقة بين الحامل والحمل[١].

ولابد أننشيرإلى نقطة غاية الأهمية ، ألا وهى أن الإسلام نفسه يجمع بين جوانبه أساس الحضارة الإسلامية والمؤمن بروحها الذى شرع فى البناء هو الأمة العربية، والمنفذ هو الأمة الإسلامية الكبرى ومن اندمج فيها من أهل الديانات والمذاهب الأخرى، وبالمناسبة هى خروج الأمة العربية ومعها الإسلام وخصال العروبة إلى مسرح التاريخ العالمى الكبير ولقاؤها مع الحضارات الأخرى[٢].

**الحضارة والبيئة الجغرافية:**

لاشك أن البيئة والمناخ لهما تأثيرهما بشكل أو بآخر، ولكن ليست بالدرجة التى بالغ فيها بعض المؤرخين.

كثيرون هم الذين يردون الحضارة إلى البيئة الجغرافية ومن روادهم هنتجتون فى كتابه المنابع الرئيسية للحضارة **The main springs of-civilization** وفيه رد الحضارة والتقدم إلى المناخ المعتدل البارد وقال إن جميع المناطق الحارة والمدارية سكانها متخلفون متأخرون !! وقد جاراه فى هذا الرأى كثيرون، بل سبق إليه من مفكرى العرب ابن خلدون + ١٤٠٦م.

---

(١) د. أبو ريدة، المرجع السابق، ص ١٥.

(٢) د. أبو ريدة، نفس المرجع، ص ١٦.

والرأى عندنا أنه إذا كان من الحق أن يقال إن للبيئة والظروف الجغرافية أثرها فى دفع الناس إلى العمل، أو إلى الإحباط أو التوقف عن النشاط البدنى والذهنى، فإن من الحق كذلك أن يقال أن الظروف الطبيعية أو الأحوال الجغرافية ليست العامل الوحيد أو الأهم فى قيام الحضارة واستمرار مسيرتها، أن فى العالم شعوبا تميل إلى التكاسل طلبا للراحة ... وتلتمس لذلك عذرا فى الجو الذى لايرونه فى بلادهم ملائما للعمل مغريا بالنشاط، فإذا كان جو بلادهم حاراً قالوا – حتى مع انتشار أجهزة التكييف فى بلادهم: كيف يمكن العمل فى هذا القيظ القاتل؟!.

يبدو أن مرد العمل المتواصل إلى مدى استعداد الإنسان لذلك، ومبلغ تهيئة للحركة والنشاط والتطلع إلى الرقى ، فليست ظروف البيئة الجغرافية هى العامل الأول أو الأهم فى نشأة الحضارة أونموها ، وإن كان من الضرورى لمن يكد ويعمل وينتج أن يجد فى وطنه جزاء ملائما للمعرفة ومتكافئا لنشاطه[1].

## رد الحضارة إلى الجنس الأبيض:

أما القائلون برد الحضارة إلى الجنس الأبيض دون غيره من أجناس البشر فهم بدورهم كثيرون، يعلقون كل اهتماهم على لون البشرة عند بنى الانسان ... أما أن مرجع اللون فيما يبدو إلى طبيعة الجو، وقد زخرفوا لهذا الزعم ثوبا علمياًوأقنعوا بذلك مفكرين أشاعوا هذه النظرية

(١) .. توفيق الطويل، الحضارة الاسلامية والحضارة الأوربية، مكتبة التراث الإسلامى، ص ١٦.

المزعومة.

ذلك أن نظرية نبتت فى القرن التاسع عشر وإن قالها بمضمونها القدماء تفرق بين شعب «آرى» هو الأصل الذى تنتمى إليه الأمم الأوربية وبعض الأمم الأسيوية ممن أنحدرت لغاتهم عن أصل واحد هو اللغة السكريتية أو غيرها، وكان إمام الداعين إليها ارستقراطيا فرنسيا هو جوزيف آثر جوبينو وقد زعم أن كل الشعوب الآرية وحدها دون غيرها هى التى خلفت كل ماله قيمة فى الحضارة وقامت بالحفاظ عليه، وقيل أن السلالة الآرية هى منبع جميع الحضارات العالمية من قديم الزمان إلى حديثه، وقيل أن النورديين هم سلالة الآريين الذين تواطنوا شمالى أوربا قديما ومنهم الشعوب التيوتونية والانجلوسكسونية، إلى غيرها من السلالات والاجناس البشرية، وكان «أدولف هتلر» يرى فى كتابه «كفاحى» أن الجنس الآرى وحده أهل لإنشاء الحضارة، وأن الجنس اليهودى أشد الأجناس هدما للحضارة، بل ان كل الاجناس غير الآرية أجناس منحطة «كشعوب البحر الأبيض الجنوبية والشعوب السامية بوجع عام».

وكان لتفوق الجنس الآرى اتصال وثيق بفلسفة القوة والسيادة الالمانية التى قد ذاعت فى المانيا فى القرن الماضى، وكان من أئمتها «فردريك نيتشه + ١٩٠٠». وهو الذى زعم أن البشر قسمان: سيد وعبد، وصفوة ودهماء، ومن خير البشرية أن تعمل على خلق جنس من الناس يمتاز بالقوة والتفوق والسيادة، ويتمثل هذا فى السوبر مان أو الانسان الأعلى، وقال زعماء النازية إن الشعوب المنحطة حاجتها إلى الغذاء والملابس والثقافة أقل من حاجة الشعوب الأرقى ... !!.

## الرد على مزاعم أصحاب نظرية الأجناس:

ولتفنيد هذه النظرية المزعومة نقول بداية انها ظهرت فى عصر ينذرء بتعصب دينى بغيض، وتخرب جنسي مقيت، وإن كان المتتبع لابحاث المعنيين بتلك النظرية يلاحظ أن فكرة أقحام السامية والآرية على نشأة الحضارات كادت أن تتلاشى فى القرن العشرين، وذلك بسبب أن نظرية السامية والآرية قد تضاءلت وظهر للباحثين ضعف سندها العلمى. وليس أدل على الخطأ الذى تورط فيه أصحاب هذه النظرية من أن الشعوب الآرية، لم تنشأ حضارات قديمة كالتى أنشأها الساميون فى الشرق كالحضارة المصرية والصينية والهندية ومع ذلك لم يستطع أحد من العلماء أن يأتى بسند علمى واحد على أن السلالة الآرية كانت موجودة بالفعل، إذ ليس ثمة علاقة حتمية بين اللغة والسلالة، فالآرية لغة واستعمالها للدلالة على سلالة معينة ما يستعملها الالمان ليس له مسوغ علمى واحد[١].

(١) د. توفيق الطويل، المرجع السابق، ص ١٨.

# مقومات الحضارة الإسلامية

نود أن نشير إلى المقومات الأساسية للحضارة الإسلامية، وهى تمثل:

**التوحيد:**

تعتبر فكرة الألوهية من المبادئ الرئيسية فى هذه الحضارة، ومن ثم يترتب على فهم هذه الحقيقة النتائج الأخرى.

فالفكرة الإلهية فى الإسلام «فكرة تامة» لايتغلب فيها جانب على جانب، ولاتسمح بعارض من عوارض الشرك والمشابهة، ولاتجعل لله مثيلاً فى الحس ولا فى الضمير. بل له «المثل الأعلى» وليس كمثله شئ.

ولله المثل الأعلى من صفات الكمال جمعاء وله الأسماء الحسنى فلا تغلب فيه صفات القوة والقدرة على صفات الرحمة والمحبة ولاتغلب فيه صفات الرحمة والمحبة على صفات القوة والقدرة. فهو قادر على كل شئ وهو عزير ذو انتقام وهو كذلك رحمن رحيم وغفور كريم ... قد وسعت رحمته كل شئ «يختص برحمته من يشاء» وهو الخلاق دون غيره «هل من خالق غير الله».

فليس الإله فى الإسلام مصدر النظام وكفى، ولامصدر الحركة الأولى ولكن «الله خالق كل شئ» وخلق كل شئ فقدرة «وأنه يبدأ الخلق ثم يعيده» ... وهو بكل خلق عليم».

ومن صفات الله فى الإسلام مايعتبر رداً على «فكرة الله» فى

الفلسفة الأرسطية. فالله عند أرسطو يعقل ذاته ولايعقل مادونها، ويتنزه عن الإرادة، لأن الإرادة طلب في رأيه، والله كمال لايطلب شيئاً غير ذاته، ويجل عن علم الكليات والجزئيات، لأنه يحسبها من علم العقول البشرية ولايعنى بالخلق رحمة ولاقسوة ... .

ولكن الله في الإسلام ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ... [ولا يعزب عنه مثقال ذرة﴾ ﴿وهو بكل خلق عليم﴾ ﴿وماكنا عن الخلق غافلين﴾ «وسع كل شيء علما﴾ ...﴿إلا له الخلق والأمر﴾ ...﴿عليم بذات الصدور﴾.

فكانت فكرة الله في الإسلام هي الفكرة المتممة لأفكار كثيرة موزعة في هذه العقائد الدينية وفي المذاهب الفلسفية التي تدور عليها. ولهذا بلغت المثل الأعلى في صفات الذات الإلهية، وتضمنت تصحيحاً للضمائر، وتصحيحا للعقول في تقرير ماينبغي الكمال الله، بقسطاس الإيمان وقسطاس النظر والقياس.

ومجمل مايقال في عقيدة الذات الإلهية في الاسلام، إن الذات الإلهية غاية مايتصور العقل البشري من الكمال في أشرف الصفات. فالله هو «المثل الأعلى».

وهو الواحد الصمد الذي لايحيط به الزمان والمكان وهو محيط بالزمان والمكان ﴿وهو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ ﴿وسع كرسية السموات والأرض﴾ ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾[1].

إن الإسلام في حقيقته، دين الإيمان والتوحيد الخالص الذي

(١) عباس محمود العقاد، «الله» الاعمال الكاملة، دار الكتاب اللبناني، ص ١٦٢.

لاتشوبه شائبة . فالله هو الخالق الذى لاخالق غيره، ﴿بيده ملكوت كل شئ﴾ ﴿خلق كل شئ بالحق﴾ أى بحكمة وقانون وهو دين الإيمان بالتنزيه الكامل لله عن كل مشابهة لما يعرفه الإنسان أو يتصوره، والله يدبر هذا العالم بالحكمة والرحمة المحيطة بكل شئ.

ومفهوم الألوهية فى الإسلام ، كما يتعقله المؤمن المفكر فى ضوء ما ذكره القرآن لله من صفات الكمال والجلال والإكرام والجمال، وهو أعلى مفهوم فى العقل، بل فوق كل مايخطر له.

والمفهومات العالية والمسائل الكبرى ترفع مستوى المفكر ومستوى تفكيره، ولاشك أن التوحيد الإسلامى، إلى جانب سموه بالفكر إلى التصور الموحد للأشياء ونظامها. قد ارتفع بالفكر إلى مستوى التجريد والعلو عن الحس والمحسوس وبذلك هيأ عقل المسلم للقدرة على تحصيل نظام من التصورات المجردة التى هى من مميزات التصور العلمى الفلسفى، لأن قوانين العلم -وكذلك الفلسفة- ليست إدراكا مباشراً للأشياء ، بل تصورا مجرداً يستخلصه الفكر بنشاطه الخاص وينظر للأشياء ويتصرف فيها من خلال ذلك.

وعلى أساس الإيمان بالله الواحد الحق الذى يمسك بقدرته نظام السموات والأرض، والإيمان بالدين الذى جاء من عنده محكماً بأدلته وبرسالة الإنسان على الأرض، كان من الطبيعى أن تلتقى عقول المسلمين وقلوبهم على عبادة الله وأن تتضافر إرادتهم على عمران الدنيا وإنشاء الحضارة فيه. فى ضوء الإشهاد الإلهى، فقد كان الأيمان هو أساس الحضارة، وهذا لايحتاج إلى دليل، وروح الإسلام سارية فى

حضارته[١].

**الإنسـان:**

لاشك أن الإنسان يمثل الأساس فى بناء الحضارة، والحضارة نفسها هى رحلة الإنسان على كوكب الأرض.

فالحضارة الإسلامية، قامت على الإنسان الذى صاعته هذه الحضارة، على قيمها وتصوراتها ومفاهيمها ، لم يعد الإنسان الذى يصارع القدر، ولم يعد الإنسان المحكوم عليه بالشقوة والتعاسة مثل بعض الفلسفات والأيدلوجيات، إنما صاغت هذه الحضارة الإنسان المتوازن المعتدل فى هذه الحياة.

والإسلام ينظر إلى الفرد المسلم على أساس الروح والجسد، فعقيدة الروح أحد العقائد فى القرآن ... والعقايد الغيبية أساس عميق من أسس التدين، تقوم عليه كل ديانة يطمئن إليها ضمير الإنسان ولكن الفضيلة الأولى فى عقائد القرآن الغيبية أنها لاتعطل عقول المؤمنين بها، ولاتبطل التكليف بخطاب العقل المسئول، وهو يؤدى حق التمييز وحق الإيمان والإسلام: إسلام الأمر كله إلى الخالق المعبود.

وعقيدة الروح إحدى العقائد «الغيبية» والتى نلمس فيها هذه الفضيلة، كأنها من حقائق الحس وإن وجب على العقل الإنسانى أن يؤمن بعلمه القليل فيها. وأن يسلم تسليم الإيمان «بأنها من علم الله».

---

(١) د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، المرجع السابق، ص ١٩.

فالروح والجسد فى القرآن ملاك الذات الإنسانية تتم بهما الحياة، ولاتنكر أحدهما فى سبيل الآخر، فلايجوز للمؤمن بالكتاب أن يبخس للجسد حقا ليوفى حقوق الروح، ولايجوز أن يبخس للروح حقا ليوفى حقوق الجسد، ولايحمد منه الإسراف فى مرضاة هذا ولامرضاة ذاك. وعلى الله قصد السبيل.

**والقرآن ينهى عن تحريم المباح، كما ينهى عن إباحة المحرم[1].**

ولاشك أن الإنسان فى الحضارة الإسلامية ، له المكانة السامية فإن مكانته هى مكانة الخليفة لله، سبحانه وتعالى، فى عمارة هذه الأرض ... والخليفة هو وقادر ومريد وفاعل، لكن فى حدود بنود ،عقد عهد الاستخلاف، الذى هو الشريعة الإلهية ... فالإنسان سيد فى الكون ، وليس سيد الكون، لأنه خليفة لـ سيد الكون ... وبعبارة الإمام محمد عبده «١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م» فإنه -الانسان- عبد الله وحده، وسيد لكل شئ بعده!.

وهذه الرؤية الإسلامية لمكانة الإنسان فى الكون والتى تمثل خصوصية حضارية تتميز بها عن الحضارات الإنسانية الأخرى ... كما أنها ثمرة للوسطية الاسلامية، التى تقف بمكان الخليفة بين «التأليه» و «التهميش» فإنها ثمرة من ثمرات التصور الإسلامى لنطاق عمل وتدبير لذات الإلهية، فلما كان الله المدبر للخلق - وليس فقط الخالق للوجود- كان لتدبيره مدخل فى الرعاية والترشيد للإنسان، وهذا المدخل

(١) عباس محمود العقاد، الإنسان فى القرآن، المجلد التاسع، الاعمال الكاملة، دار الكتاب اللبنانى، ص ٣٨١.

هو عقد الاستخلاف الذى جعل الإنسان حاملاً للأمانة -فهو ليس المهمل المجبر المهمش- كما أنه ليس المتفلت من إطار التدبير الإلهى ... إنه الخليفة لخالق ومدبر هذا الوجود.

وهذا التصور الإسلامى للإنسان كخليفة عن الله، مع تصور الذات الإلهية كمدبر للوجود الذى خلقه، هما وجها لعملة واحدة.

فهذا الموقع -موقع الخليفة- الذى أراده الله للإنسان فى عمارة هذه الأرض، هو الذى يعبر عن خصوصية الرؤية الإسلامية، التزامه فى بناء الحضارة الإسلامية، هو الذى يجعل هذا الإنسان إنساناً ... وربانيا فى ذات الوقت ... وهو الذى يحقق المعنى الذى لم تدركه الملائكة من ذاتها عند خلق الله هذا الإنسان ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إنى أعلم ما لاتعلمون﴾.

وكما أن تحقيق فلسفة الاستخلاف، وضوابط الخلافة يجعل الإنسان الخليفة إنسانا وربانيا فى ذات الوقت . فإن ذلك التحقيق يجعل من صناعته للحضارة، حضارة إنسانية وإسلامية أيضاً ، وبهذا تتميز حضارة الاستخلاف الإسلامية عن غيرها من الحضارة التى «تهمش» أو «تؤلهة»[1].

---

(١) د. محمد عمارة، مقال حضارة، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٧٣ - ٧٤، ص ١٧- ١٨.

# مظاهر الأخلاق فى الحضــــارة الإســـــلامية

احتفى الإسلام بالأخلاق ايما احتفاء، ولاشك أن أحد الأسباب الرئيسية فى قوة هذه الحضارة اهتمامها بالجانب الخلقى، وبالفلسفة الخلقية للإنسان.

لهذا كما قلنا أن الإسلام يعتبر أن الإنسان أحد المقومات الرئيسية فى بناء الحضارة. لهذا نجد أن الحضارة الإسلامية قد اهتمت بالقيم الإنسانية الرفيعة، مثل تكريم الإنسان، وأنه خليفة الله فى الأرض، ونشر ميدأ التسامح والعدالة، والمساواة.

كل هذه القيم السامقة، كانت بمثابة الأعمدة الأساسية لبنا ءهذه الحضارة، ولعل هذا سر قوتها، ورسوخها، وسر ثباتها رغم العواصف والأنواء على مر الزمن!.

ويعترف مؤرخو الحضارة الإسلامية، بأن هذه الحضارة لم تفرض على الناس فرضا، أو لم تقم بحد السيف والقتل والقهر كما يزعم بعض المستشرقين، وإنما قامت بالحجة والمنطق والاقناع، وأن غير المسلمين من الملل الأخرى، قد نعموا وعاشوا فى ظلها دون إكراه أو قهر.

ولهذا نجد العلامة جوستان لوبون فى مؤلفه الشهير «حضارة العرب» يقول عن بنى الإسلام: «وإذا ماقيست قيمة الرجال بجليل مآثرهم كان محمد أعظم من عرفهم التاريخ»، وأخذ بعض الغرب ينصفون محمدا مع أن التعصب الدينى أعمى بصائر مؤرخين كثيرين

عن الاعتراف بفضله، قال العلامة بار على سنت هيلر: «كان محمد أكثر عرب زمانه زكاء وأشدهم تدينا وأعظمهم رأفة ونال محمد سلطانه الكبير بفضل تفوقه عليهم، ونعد دينه الذى دعا الناس إلى اعتقاده جزيل النعم على جميع الشعوب التى اعتنقته»(١).

**تكريم الإنسان وحقن دمه:**

فى القرآن آيات بينات فى تفضيل الإنسان على غيره من الكائنات. ﴿ولقد كرمنا بنى آدم، وحملناهم فى البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا﴾ سورة هود الآية ٧٠.

وتبدو هذه المنزلة واضحة، وبخاصة ف يموقف آدم من الملائكة ، فهو أكثر علماً، وأعلى منزلة. {وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال انبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم}.

﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾.

وأكد القرآن حرمة الإنسان ونادى بحقن دمه فى بيئة كانت تستبيح القتل وتغيش على أخذ الثأر، فحرم وأد البنات وقتل الأولاد خشية إملاق. وأوعد بالعذاب المقيم والغضب واللعنة لمن يزهق روح أخيه الإنسان. ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً ، فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾.

(١) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ١١٦.

وقرر القصاص حياة يا أولى الألباب. فكل ابن آدم حرام، لحمه ودمه ، وكل مايبرز معالم الإنسانية فيه ، فلا يعدى عليه بغير حق ، ولا يعذب ولايمثل به ، ولايعرض هوان يتنافى وكرامة الإنسان والحرب والسلم فى ذلك سواء ، فلا يؤخذ الخصم فى الحرب على غرة ولاينكل به ويعامل الأسير معاملة كريمة.

فأين حضارة القرن العشرين من هذا ، وفيها تمثيل يعود بنا إلى وحشية القرون الأولى وكلنا يذكر مايجرى فى معسكرات الاعتقال اثناء الحرب العالمية الماضية ، ولانزال نقرأ ونسمع عما يلجأ إليه من وسائل التنكيل فى بعض السجون والمعتقلات. وقدم لنا العلم الحديث طرقاً وأدوات نستخدمها دون شفقة أو هوادة فى اذلال الانسان واهدار كرامته[1].

**حرية العقيدة والفكر لغير المسلمين:**

انتشر الإسلام بالفتوحات، التى قام بها الخلفاء ، ولم يكن سبيلهم نشر الإسلام بالسلاح كما يزعم البعض ، وكانوا يحترمون عقائد الشعوب التى فتحوها.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة العلامة «جوستان لوبون» بقوله: «ويثبت لنا سلوك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى مدينة القدس مقدار الرفق العظيم الذى كان يعامل به العرب الفاتحون الأمم المغلوبة، والذى ناقضه ما اقترفه الصليبيون فى القدس بعد بضعة قرون مناقضة تامة، فلم يرد عمر أن يدخل مدينة القدس معه غير عدد قليل من أصحابه

(١) د. ابراهيم مدكور، فى الفكر الإسلامى، الناشر سميركو للطباعة والنشر، ص ١٦١.

وطلب من البطرك صفرونيوس أن يرافقه فى زيادته لجميع الأماكن المقدسة، وقطع لهم عهداً باحترام كنائسهم وأموالهم وبتحريم العبادة على المسلمين فى بيعهم.

ولم يكن سلوك عمرو بن العاص بمصر أقل رفقا من ذلك، فقد عرض على المصريين حرية دينية تامة وعدلا مطلقا واحتراما للأموال وجزية سنوية ثابتة لاتزيد على خمسة عشر فرنكا عن كل رأس بدلاً من ضرائب قياصرة الروم الباهظة، فرضى المصريون طائعين بهذه الشروط دافعين للجزية سلفاً، وقد بالغ العرب فى الوقوف عند حد هذه الشروط والتقيد بها فأحبهم المصريون الذين ذاقوا الأمرين من ظلم قياصرة القسطنطينية النصارى، وأقبلوا على اعتناق دين العرب ولغتهم أيما إقبال. ونتائج مثل هذه لاتنال بالقوة كما قلت غير مرة، ولم يظفر بمثلها من ملك مصر من الفاتحين قبل العرب.

وللفتوح العربية طابع خاص لاتجد مثله لدى الفاتحين الذين جاءوا بعد العرب، وبيان ذلك أن البرابرة الذين استولوا على العالم الرومانى والترك وغيرهم، وإن استطاعوا أن يقيموا دولا عظيمة، لم يؤسسوا حضارة، وكانت غاية جهودهم أن يستفيدوا بمشقة من حضارة الأمم التى قهروها، وعكس ذلك أمر العرب الذين أنشأو ابرع حضارة جديدة كثيرة الاختلاف عن الحضارات التى ظهرت قبلها. والذين تمسكنوا من اجتذاب أمم كثرة إلى دينهم ولغتهم فضلاً عن حضارتهم الجديدة، واتصلت بالعرب أمم قديمة كشعوب مصر والهنود، واعتنقت معتقدات العرب وعاداتهم وطبائعهم وفن عمارتهم استولت بعد ذلك الدور أمم

كثيرة على الأقطار التى فتحها العرب فظل نفوذ العرب منها ثابتا، ويلوح لنا رسوخ هذا النفوذ إلى الأبد فى جميع البقاع الأسيوية والافريقية التى دخلوها والتى تمتد من مراكش إلى الهند[1].

**التسامح:**

التسامح مبدأ أصيل، من مبادئ الإسلام، ولعل هذا سر قوته، وهو يخاطب الإنسان كإنسان ويعلى من قيمته وإنسانيته كما أنه يدعو إلى القيم الإنسانية العليا «الحق - الخير - الجمال».

فإذا كان الفرد مدنيا بطبعه، أى اجتماعيا، فلا بد إذن أن يتعاون كل فرد مع الآخرين. ونود أن نشير إلى فكرة الحقوق والواجبات، حق كل فرد من جهة، وواجباته من جهة أخرى، إنما تستند إلى ضرورة الإلتزام بالتسامح فى السلوك، وإذا اعتدى الفرد على حقوق الآخرين، أى أخذ ماليس حقا له، فإنه يكون شريرا وليس خيرا ولامتسامحاً. وإذا اعتدت أمة على أمة أخرى، فإن هذا الاعتداء بغير حق، يكون معبرا عن الفعل الشرير وليس عن السلوك الخير.

والواقع أننا نجد الكثير من مفكرينا قد حرصوا على البحث فى التسامح كقيمة أو مثل من المثل العليا وذلك من خلال زوايا عديدة، إذ أن البحث فى التسامح مرتبط بالعديد من المباحث الخلقية الإنسانية.

بجد هذا عند فيلسوف الاخلاق الشهير مسكويه، كما نجده عند ابن سينا والغزالى فى المشرق العربى، بل نجد هذا أيضا عند المفكرين

---

(١) جوستان لوبون، المرجع السابق، ص ١٣٦.

الذين يمثلون نوعاً من تجديد الفكر الإسلامى العربى، مثل جمال الدين الأفغانى حين يكتب عن الأمور التى تتم بها سعادة الأمم. وذلك فى رسالته الرد على الدهريين. والشيخ محمد عبده فى رسالته التوحيد حين يبحث فى مسألة الخير والشر وعلاقتها بالعقيدة والعمل، ومحاولته إقامة نوع من التناسب أو التوازن بين وجهتى النظر الأخلاقية والجمالية تماماً كما نقول - إن لفظ «الحسن» فى العربية يبين لنا فى وقت واحد «الجمال» و «الخير» ولفظ القبيح يعنى الشر والدمامة كما نجد هذا واضحاً أيضاً عند المفكر محمد إقبال فى ربط بين الفن والأخلاق ورفضه لكل فن لايلتزم بالأخلاق والقواعد الخلقية السامية النبيلة الخيرة.

وما أحوجنا إلى البحث فى هذه الجوانب أو المجالات التى تبين لنا حقيقة القيم والمثل العليا، وبحيث نواصل ما نبهنا إليه باحثون كثيرون من أمثال الشيخ محمد عبده ومحمد إقبال والشيخ دراز. وكم نجد فى دراساتهم العديد من المباحث الخلقية والربط بينهابصورة أو بأخرى وبين المباحث الخاصة «بالحق» و «الجمال» فالفعل الحق لايصدر عن إنسان يهوى الكذب والفعل الخير لايكون صادراً عن إنسان يفكر فى الشر دوماً والفعل الجميل والفعل الحسن كما يقول بعض مفكرينا لايصدر عن نفس قبيحة دميمة. إن الأفكار يجب أن تدور حول التسامح(١).

لقد رسم الإسلام للتسامح صورة لاتجد لها شبيها فى دين آخر ولافى تشريع حديث أو معاصر، رفع شأن الإنسان، وسلم بحقوقه بصرف

---

(١) د. عاطف العراقى، دراسة: التسامح من منظور انسانى تنويرى ضمن الكتاب التذكارى عن الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى، ص ٣٥٦.

النظر عن دينه وعقيدته. ونوه بالصلة بينه وبين الأديان السماوية الأخرى، وسما بأهل الكتاب على من سواهم من كفار ومشركين وأفسح السبيل لمعاشرتهم والعيش معهم، وحتى استسلموا أصبحوا أهل ذمة يتولى المسلمون حمايتهم، ويتركونهم احراراً في كسب معيشتهم واداء عبادتهم وقامت الكنائس والبيع إلى جانب المساجد في بعض المدن والقرى الإسلامية ولم يقف التسامح عند هذا، بل كثيرا مامنح أهل الكتاب بعض الامتيازات، وتولوا بعض الوظائف الكبرى.

وسلك الرسول الكريم في حياته مسلكا يفيض بالعطف والشفقة ويعطى درساً أفاد منه الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من عامة المسلمين فتزوج مارية القبطية التى انجبت ابنه ابراهيم. وعامل الرسول يهود المدينة معاملة كريمة فعاهدهم على الدفاع عن النفس والمال، وضمن لهم حياة آمنة مطمئنة. ولكنهم نقضوا عهدهم، وبرهنوا على أنهم لاأمان لهم فأخرجوا وأبعدوا عن دار الإسلام.

وبعد أن اكتملت الفتوحات الإسلامية عاش اليهود والنصارى مع المسلمين جنبا إلى جنب، عيش أبناء الوطن الواحد. وأسهموا في بناء الحضارة الإسلامية اسهاماً ملحوظاً، ووضعوا لبنات في بنيات الثقافة العربية. وربطوا الفكر الاسلامى بالثقافات الأخرى شرقية كانت أو غربية. وكان لهم في حركة الترجمة الاسلامية الكبرى نصيب واضح عُرِفَ منهم الطبيب ، والكيميائى ، والرياضى ، والفلكى ، ومن بينهم من نال حظوة خاصة لدى الخلفاء والامراء. ولانكاد نعرف في الاسلام اضطهادا دينيا شبيها بتلك الاضطهادات الدينية الكبرى التى سجلها

التاريخ القديم والحديث، ولانزال نشهد بعضا منها فى تاريخنا المعاصر وأخشئ ماتخشاه أن تورث الصهيونية العالم الاسلامى هذا المسلك البغيض وأن تغرس فيه ميلاً إلى الانتقام والاضطهاد[1].

ويقص علينا التاريخ من تسامح الإسلام وسعة روحه، ممثلا فى خلفائه، مايندهش له الإنسان.

فها هو الخليفة المنصور العباسى، مثلا، يعرض الإسلام على طبيب نصرانى عالج نفسه فشفى على يديه فيجيب الطبيب قائلا: أنا على دين آبائى أموت، وحيث يكون أبائى أحب أن أكون فى الجنة أو فى جهنم. عند ذلك يبتسم الخليفة ويصرفه موفور العطية.

وهذا المأمون العباسى يعرض الإسلام على زغيم المانوية، بعد أن ناظره العلماء وأفحموه، فيرد على المأمون قائلا: نصيحتك يا أمير المؤمنين مسموعة، وقولك مقبول، ولكنك ممن لايجبر الناس على ترك مذاهبهم فيرضى المأمون بهذا الجواب ويبعث مع المانوى قوما يحفظونه من العامة.

هذه أمثلة حية نطرحها على شبابنا اليوم ليعرفوا منها الدرس والقدرة، والنظر الصحيح إلى حضارتنا العربية الإسلامية.

ولما كان الإسلام يحترم الديانات السابقة، وكان الخلفاء أيضا بفضل الإسلام أيضا يعظمون كل علم وحق وخير ورقى إنسانى ويعرفون الفضل لأهله فإن ذلك دعاهم إلى الاستفادة من مواهب الأمم المتحضرة،

---

(١) د. ابرهيم مدكور، فى الفكر الاسلامى، سمير للطباعة والنشر، ص ١٧٣.

فمهدوا السبيل إلى تعاون إنسانى واسع النطاق، فتضافرت فى دولة الإسلام جميع مواهب الأمم العقلية والفنية. ومنذ عهد معاوية بن أبى سفيان نجد الخلفاء يتخذون من علماء أهل الكتاب من يستشيرونه أو يستفيدون منه فى تثقيف أبنائهم أو فى وظائف ينهضون بعلمهم فيها، بعد جيل، وقد تظل الأسرة الواحدة «أسرة بختيشوع مثلاً فى العصر العباسى» أكثر من قرن تمد الدولة بالأطباء والكتاب والموظفين، كما نجد من أهل الكتاب عمالا ووزراء فى الدولة الإسلامية«سواء فى الاندلس الإسلامية أو فى مصر» يؤدون أعمالهم بإخلاص ويتمتعون هم وأبناء دينهم بالحرية والإكرام، فى ضوء قوله تعالى: ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾.

وفى ظل حضارة الإسلام نشأ الفكر العلمى والفلسفى وازدهر ازدهارا كبيراً عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى، بل عند غيرهم من اتباع نحل دينية وفلسفية سابقة كالحرانيين، وكان ممثلوا ذلك الفكر موضع التقدير والاحترام.

وفى هذه الظروف كلها، وفى جو هذه الحضارة الزاهرة، كيف لاتدخل الأمم فى الإسلام وتشارك فى حضارته، وكيف لايتسابقون بل يتنافسون فى ذلك[1]؟.

---

(١) د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، المرجع السابق، ص ٣٤.

# الفصل الخامس

## المدخل الجمالى وأثره فى تربية الفرد والمجتمع
## رؤية حول قضية الأصالة والمعاصرة
## العولمة ... بين القبول والرفض؟

# المدخل الجمالى وأثره فى تربية الفرد والمجتمع[1]

احتفى الإسلام بالفن والجمال، بل المتأمل فى القرآن الكريم يجد السمة الجمالية بارزة فى تناياه يجد القرآن حافلاً بالمشاهد الجمالية التى تأخذ بلب الإنسان، بل تملأ علي النفس أقطارها.

ونعتقد أن هذه السمة الجمالية من المقاصد الأصلية للنفاذ إلى أعماق النفس البشرية، وأيضاً السنة النبوية تشير إلى نفس الهدف وفى رأينا أن المدخل الجمالى من المداخل الرئيسية فى تربية النفس والمجتمع.

ومن حسن الطالع أن هناك بعض الكتابات التى عالجت هذا الموضوع من زاوية أو أخرى، ولكن -فيما نعتقد- مازال الموضوع فى حاجة إلى المزيد من التوضيح.

فالقرآن الكريم ليس كتاباً فكريا مجردا، وإنما يعرض أفكاره بصورة حية ولهذا نجده يعتمد على التصوير الفنى.

فالتصوير الفنى هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن[2] ويجب أن نتوسع فى معنى التصوير، حتى ندرك آفاق التصوير الفنى فى القرآن، فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخيل، كما أنه تصوير بالنغمة حيث تقوم مقام اللون فى التمثيل ، وكثيراً مايشترك الوصف،

---

(١) نشرت هذه الدراسة للمؤلف، بمجلة منبر الإسلام العدد ١٠، ١٩٩٨ م.

(٢) سيد قطب، التصوير الفنى فى القرآن، دار الشروق، ص ٢٢.

والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات، وموسيقى السياق، فى إبراز صورة من الصور تتملاها العين والأذن، والحس والخيال والفكر والوجدان. وهو تصوير حى منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة قصوير تقاسى فيه الأبعاد و المسافات بالمشاعر والوجدانات . فالمعانى ترسم وهى تتفاعل فى نفوس آدمية حية أو فى مشاهد الطبيعة تخلع عليها(١).

إن القرآن الكريم يحاول أن ينشئ النفس الجميلة المتخلقة بأخلاق القرآن، فالقيم الجمالية لاينفصم عراها عن القيم الأخلاقية بل كلاهما صنوان! .

فتهذيب الحس الجمالى للمسلم مقصد أصيل من مقاصد القرآن الكريم ﴿**لقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين**﴾ ﴿**يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾ فلنلحظ أن لفظ الزينة، قصد إليه قصدا لإيقاظ الشعور والوجدان والإحساس والجمال فى نفس المسلم. هذه مجرد إشارات مقتضبة من السياق القرآنى. وينبغى أن نشير إلى أن الأمم الأخرى قد احتفت بتربية الأفراد على تذوق الجمال، لأن هذا بطبيعة الحال يؤثر فى سلوكيات المجتمع على العموم والحكمة الصينية تقول: «إذا كان لديك رغيفان، فبع أحدهما واشتر بثمنه باقة من الزهر».

فهناك جمعيات فى الغرب مهمتها الآن المحافظة على الجمال سواء فى الطبيعة أو لون المساكن بحيث تتناسق وتتناغم فيما بينها،

(١) المرجع السابق، ص ٣٣.

ففى ألمانيا مثلاً نجد الحدائق والمساحات الخضراء كهدف أصيل لتنمية ذوق الفرد والمجتمع.

ومما لاجدال فيه أن كثيراً من ظواهر العنف والقلق والتوتر والتشويه مصاحبة التخريب والتدمير، إنما ترجع فى حقيقتها إلى عيوب فى نظمنا التربوية التى فشلت فى رعاية حاسة الجمال وتغذيتها، بل قل إنها نظم ضمت -أحيانا مايئد المواهب فى مهدها وآية ذلك إهمال دور العلم والعبادة وعدم العناية بمظهرها الجمالى أو نظافتها أو رعاية معارض الجمال فيها.

لقد أضحى الكثير من مدارسنا وبعض مساجدنا فى صورة لاتتكافأ مع مانريده منها من رعاية وتغذية وجداننا وملكاتنا[1].

ولقد أدرك الفيلسوف إقبال بثاقب فكرة قيمة الفن والجمال، فى حياة الفرد والمجتمع فحاول أن يقيم مشروعه الفكرى من خلال دواوينه الشعرية بجانب كتاباته الفلسفية مثل «تجديد التفكير الدينى فى الإسلام» كما هو مشهور.

إن الفن عنده يمكنه أن يدعو الناس إلى المثل العليا. وطالما يذكرنا إقبال أنه يتصد فى دواوينه أن يضع أمام الناس مثلاً وقيما رفيعة، أما الفن الذى يتصل بالضعف والفساد من قريب أو بعيد، فانه لايعد فنا حقيقيا، فنا لاقيمة له، ولاطائل من ورائه. إن الفن - فيما يرى إقبال قصد الحياة، والحياة قوة لاضعف[2].

---

(١) محمد كمال جعفر، تأملات فى الفكر الإسلامى، ص ١٤.

(٢) د. عاطف العراقى، العقل والتنوير فى الفكر العربى المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص ١٩١.

نحن نحتاجون، أن نتلقى القرآن كما تلقاه الجيل الأول، لكى يرتقى بأذواقنا، ويهذب من نفوسنا سيما أننا نعيش اليوم فى عصر طابعه مادي!! -وللأسف- طغت القيم المادية على القيم الروحية ولن يعيد التوازن مرة أخرى سوى تذوق القيم الجمالية فى القرآن.

لقد ظن البعض أن هناك خصومة بين الإسلام والجمال، والإسلام من هذا الفهم براء.

إن تنمية الإحساس الجمالى لدى الإنسان المؤمن هى تنمية للملكات والطاعات التى أنعم بها عليه الله ... وفى ذلك الشكر لله والله أنعم بها، وإن فى استخدام هذه الملكات سبلاً للاستمتاع بما خلق الله فى هذا الكون من آيات الزينة والجمال، الشكر لله على نعمة خلقه لهده الزينة والجمال[١].

وهناك أحاديث عدة تؤكد على قيمة الجمال، فعندما قال رسول الله -ﷺ- فى الحديث الذى يرويه ابن مسعود: «لايدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من إيمان، ولايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر» عند ذلك قال رجل: «يارسول الله، إنى ليعجبنى أن يكون ثوبى غسيلاً ورأسى دهينا، وشراك نعلى جديدا وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه - أفمن الكبر ذلك يارسول الله؟ فقال رسول الله -ﷺ-: «لاذلك الجمال، إن الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر من سفه الحق وازدرى الناس[٢].

---

(١) د. محمد عمارة، الإسلام والفنون الجميلة، دار الشروق، ص ٢٠.

(٢) رواه مسلم والترمذى وابن ماجة والإمام احمد.

هذا هو منهج الإسلام ، فى تربية الفرد والمجتمع ، واعتقد أننا لو تمسكنا بمثل هذه التوجيهات ، لجنبنا مجتمعنا الكثير من الشرور والكوارث والنكبات ، لأن النفس الإيمانية الجميلة لن يصدر عنها إلا كل جميل من قول أو فعل أو سلوك.

# رؤيـــة حـــول قضـــية
# الأصالة والمعاصرة[1]

ليس ثمـة شك أن قـضيـة «الأصالة» و «المعـاصرة» من القـضايا الهامة والشائكة عند انسلم المعاصر فمنذ بداية القرن الماضى وما زال يتردد فى الأوساط الثقافيـة والعلميـة الحديث عن هذه القـضيـة، بل لانبالغ إذا قلنا بأنها قضيـة المسلم المعاصر، خاصة بعد أن تبلورت هذه القضية على بساط الفكر.

إن المتأمل فى هذا المفهوم «الاصالة» و «المعاصرة» سيتضح له أنهما اشكالية حضارية فى الفكر الإسلامى وتتضح الإشكالية بصورة محددة كأطروحة فكرية إلى أى المفهومين نأخذ ونسير؟ هل نحو تجاه الاصـالة أم المعـاصـرة؟؟ أن نمزج مـابين هذا وذاك، أم نتـرك الأصـالة لنعيش بالمعاصرة لنواكب حضارة العصر؟ كل هذه الأسئلة طرحها مفكرو العالم العربى والإسلامى ومازلات أطروحة فكرية ونعتقد أنها ستظل كذلك، كما يعود الاهتمام بطرح القضية لإيماننا أنهـا لم تحسم بعد ومازالت تشغل بال الشباب المسلم خاصة والمثقف بشكل عام.

لعل السؤال الذى يطرح نفسه على ساحة البحث **كيف السبيل إلى فكر أصيل ومعاصر؟**

**أولا:** بادى ذى بدء - نقول إن الأصالة تمثل ماخلفه لنا الأقدمون

---

(١) نشرت هذه الدراسة للمؤلف مجلة، منبر الإسلام، عدد جمادى الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد ٥.

من علم وفكر وفنون وآداب نتاج الحضارة الإسلامية ممثلة فى عقيدتها، فالحضارة الإسلامية تركت لنا تراثاً كبيراً خلال تاريخها الطويل لاشك فى ذلك ولكن كيف يمكن الإفادة من هذا التراث الضخم؟ هل بتحقيق المخطوطات والمؤلفات فى مختلف العلوم والفنون أم أن هناك وسيلة أخرى.

إن تحقيق المخطوطات بالمناهج العلمية ضرورة لاسبيل للحياد عنها لكى نخرج الكنوز من بطون المؤلفات التراثية القابعة فى المكتبات فى شتى أنحاء العالم شرقا وغربا.

على أنه بجانب ذلك لابد من تحديث التراث لغة وأسلوباً حتى يساير لغة العصر وإيقاعه وحتى يستطيع المتخصص المسلم استيعابه فضلا عن القارئ المثقف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن نأخذ من التراث مايتفق مع منطق العصر وقضاياه ونترك القضايا والمفاهيم التى عفى عليها الزمن.

إن تراثنا ملئ بالدرر والكنوز كما أنه ملئ أيضاً بالخرافات والأباطيل.

من هنا قلنا إنه يجب أن نأخذ بالمناهج العلمية لتحديث التراث وتنقيته من الشوائب والإفادة منه لمواكبة العصر، ولو ظل هكذا حالنا نتغنى فقط بأمجاد الماضى دون تفاعل حركى ودفعة حضارية للأمام لبشر هذا بأفول قريب محقق.

إن بعض تجار التراث س[illegible] اسرة العلم يعتقدون أن تحقيق التراث هو [illegible]

طبع المؤلفات من الورق الأصفر إلى الورق الأبيض، والتراث والعلم منهم براء، إنما لابد من منهج علمي يخدم الإحياء والتحقيق.

إننا لو نظرنا إلى الإسلام لوجدنا أنه منهج حياة متكامل ونظرة شمولية للحياة وعلى هذا انطلق المفكر السلفي فى رؤيته للحياة من تصور شمولى متكامل للكون والحياة والإنسان لم يعرف «دع مالقيصر لقيصر مالله لله» فكانت جل أعمالهم معبرة عن هذا النظرة الشمولية فكان ابن رشد عالما وطبيباً وفقيها وفيلسوفاً وتراثه خير شاهد على مانقول وكذا حجة الإسلام الإمام الغزالى كان فقيها ومتكلما ومتصوفاً وأخلاقيا وابن سينا وابن الهيثم وغيرهم كثير.

كان العالم منهم دائرة معارف علمية ويغلب على ظننا أن هذه النظرة الشمولية للكون والحياة والإنسان التى طبقها المفكر المسلم فى مجال حياته مستوحاة من القرآن الكريم ﴿**واتبع فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا**﴾(١).

**ثانيا:** المعاصرة تكمن فى كل ما أبدعته المعاصرة فى التقنية العلمية وفى مختلف الآداب والفنون، وليس بخاف أن هناك من يفضل نبذ الحضارة الغربية المعاصرة حفاظاً على أصالتنا وهويتنا المميزة وعدم الذوبان وتشتت الهوية وهذا الرأى يجانبه الصواب.

إن الحضارة الغربية بما أبدعته فى مجال التقنية العلمية يجب على المسلم المعاصر استيعاب كل ما انتجته فى ميدان العلم فالعلم لا وطن له كما يقولون ولايشك شاك فى أن ما أبدعته هذه الحضارة الآن إلا

---

(١) سورة القصص الآية: ٧٧.

بفضل المناهج العلمية الإسلامية عند مفكرى السلف والتى استوعبتها هذه الحضارة من مناهج الإسلاميين فى الاندلس بينما تخلف المسلمون عن ركب الحضارة طوال عدة قرون هذا من جانب صرح هذه الحضارة العلمى على أن هناك نغمة عند بعض المفكرين من أننا يجب أن نقلد هذه الحضارة فى كل ماذهبت إليه، ربما يعود ذلك إلى انبهارهم بالتقنية المعاصرة.

نود أن نجيب أننا لايصح أن ننبذ تراثنا وراء ظهورنا كالطفل اللقيط لايعرف أبوة له ولاجذور،. وأصبحنا مفقودى الهوية، ولا أن نظل أسرى التغنى بالتراث فنتخلف عن الركب ونمسى فى ذيل القافلة؟ وأن نستفيذ من التراث فى كل مايتفق مع النظرة الإسلامية الشمولية ونوظف التراث لخدمة قضايا المعاصرة وأن ننفتح على كل التيارات والثقافات العلمية لابقصد محاكاتها وأن نرددها كالببغاوات لكن برؤية نقدية نأخذ ونستوعب مايتفق مع قيمنا الإسلامية وروحنا الحضارية. إن القيم الإنسانية العالية لاتتناقض مع القيم الإسلامية بل الإسلام قيمة إنسانية رفيعة لذا فما المانع أن نستفيد من نتائج الآخرين وأن نترك مالايتفق مع حضارتنا الإسلامية فى الآداب والفنون وبعبارة أوضح قد نتفق مع تلك النظرة الجزئية فى هذا العمل الأدبى فلا مانع من أن نأخذ هذه النظرة أو تلك وأن نوظفها داخل النسق الإسلامى بما يتفق مع النظرة الإسلامية وتصورنا الإسلامى كما يقول الاستاذ سيد قطب فى بوضوح وجلاء فى كتابه «معالم فى الطريق» ولكن الإسلام يعتبر أن هناك -فيما وراد العلوم البحتة وتطبيقاتها العلمية: نوعين اثنين من الثقافة: الثقافة الإسلامية القائمة على قواعد التصور الإسلامى،

والثقافة الجاهلة القائمة أساساً على الفكرى البشرى، والثقافة الإسلامية شاملة لكل حقول النشاط الفكرى والواقعى الإنسانى، ومنها من القواعد والمناهج والخصائص مايكفل نمو هذا النشاط[1].

إن اللحاق بركب الحضارة المعاصرة يتطلب جهداً من الشباب للوقوف على تراثهم:

**أولاً:** من أجل تنقيته من الشوائب والعمل على إحيائه ، ثم الانفتاح على ما أبدعته الحضارة الغربية.

**ثانيا:** ثم إذ هم يبدعون من خلال التصور الشمولى للكون والحياة والإنسان فلا هم يتركون التراث كأجداث الموتى ولاهم يقلدون الغرب فيما يذهبون كالببغاوات.

إنما الأمر جد يحتاج إلى تعادلية متزنة، أن نستلهم التراث فى قضايانا وقيمنا الروحية وأن نحافظ على عقيدتنا الإسلامية ، وعلي الجانب الآخر أن نستوعب التقنية العلمية لنحلق بحضارة العصر بهذا نستطيع أن نحقق تعادلية متزنة أو تعارف عليها «الأصالة» ، «المعاصرة».

---

(١) سيد قطب، معالم فى الطريق، الناشر دار الشروق، ١٩٨٢، ص ١٤٢.

## العولمة ... بين القبول والرفض؟

العولمة "Globalization" من المصطلحات المعاصرة[١]، والتى دار السجال حولها فى الآونة الأخيرة وفى مناسبات ثقافية عديدة مابين مؤيد ورافض.

والملاحظ أننا نهرول -دائما- وراء كل ما هو جديد بدعوة الحداثة تارة، والانبهار تارة أخرى، والأمر يحتاج إلى مناقشة هادئة متزنة للإشكالية ، بدل التسرع فى معالجة الأمر.

فى البداية، نود القول، إن العولمة هى نتيجة لسياسة الحكومات الغربية من أجل فرض نظام عالمى جديد، نظام يحقق مصالح الأقوى على حساب الأضعف ناسين أو متناسين أن الأضعف هو السوق المستهلكة لمنتجات الأقوى.

وبطبيعة الحال الأقوى لايريد فرض هيمنته من الناحية الاقتصادية فقط يحاول أن يصدر الثقافة والفكر وتلك مكمن الخطورة فى الموضوع.

أقول إن الغرب متنبه تماما لما يمر به العالم الآن من ظروف وهم يستثمرون الوقت أحسن استثمار وينتقد «هانس - بيتر مارتين وهارالد شومان» فى كتابهما «فخ العولمة» ويذهبان إلى أن اصحاب الزعم بأن العولمة ذات الاتجاه الليبرالى المغرق فى التطرف هى من قبيل الحتميات الاقتصادية والتكنولوجية الشبيهة بالأحداث الطبيعية التى لايمكن

---

(١) انظر: د. جلال أمين، العولمة «سلسلة اقرأ» دار المعارف وخاصة الفصل الأول «حقيقة العولمة» ص ١٣ وما [illegible]

الوقوف فى وجهها. ويعتقدان على العكس من ذلك بأن هذه العولمة إن هى إلا نتيجة حتمية خلقتها سياسات معينة ، بوعى وإرادة الحكومات والبرلمانات الجديدة ، والغت الحدود والحواجز أمام حركات تنقل السلع ورؤوس الأموال وسحبت المكاسب التى حققها العمال والطبقة الوسطى وانتهاء بالتوقيع على اتفاقية منظمة التجارة العالمية «الجات» التى ستتولى توقيع العقوبات على من لايذعن لسياسة حرية التجارة. ففى كل هذه الأمور لم تكن هناك حتميات لايمكن تجنبها ، بل ارادت سياسة واعية بما تفعل وعبرت عن مصلحة الشركات دولية النشاط[1].

إن العولمة إذا كان المقصود بها الانفتاح والتعاون فلا ضير فى هذا المصطلح وإذا كان المقصود الأخذ والعطاء فلا ضير أيضا ، إما أن نكون مجرد مستهلكين للآخر سواء على المستوى الاقتصادى والثقافى والفكرى فهذا مايرفضه العقل الإسلامى[2].

إن المتأمل لما يدور الآن، يرى أن وسائل التقنية المعاصرة من البث المباشر وثورة الاتصالات قد سهلت المهمة أمام النظام العالمى الجديد فى تحقيق مآربه، وأيضا اتفاقية الجات التى تتطلب يقظة وحذر شديدين من الشعوب الموقعة عليها وإلا ذهبنا إلى الهاوية!.

اعتقد أن الهدف من العولمة ليس مجرد التعامل مع الآخر أخذا وعطاءً مع المحافظة على الثوابت لشخصية الأمة وقيمها بقدر ما هو

---

(١) انظر: د. رمزى زكى، فى مقدمة «فخ العولمة» تأليف هانس - بيتر مارتين، تعار الدشومان، ترجمة عدنان عباس، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٣٨.

(٢) انظر مقالنا عن: أزمة العقل العربى، جريدة الرسالة الدولية، عدد مايو ١٩٩٧، ص٩.

الهدف الذوبان فى الآخر والتشتت وفقدان الهوية.

إن هؤلاء الذين يروجون لمثل هذه الأفكار، كان يتعين عليهم التريث فى الأمر، بدل الجرى والهرولة والذوبان والتشتت، هل الهدف هو الامركة فى كل شئ؟ أم أن نأخذ مايتفق مع قيمنا وثقافتنا وحضارتنا وننبذ مالايتفق مع موروثونا الحضارى؟

إننى أعجب أشد العجب عندما أرى بعض المثقفين يهللون للمصطلح دون تحديد لمدلوله ومراميه، إننا نعلم أن التعريف الواضح والصحيح هو المدخل الصحيح للمعرفة العلمية.

فالحضارة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، تحض على التفاعل مع الحضارات المجاورة تأخذ وتعطئ، تتفاعل معها دون أن تهمش أحد، أو تذوب فى الآخر.

لقد انفتحت الحضارة الإسلامية على اليونان والفرس والروم، وعبر حركة الترجمة فى العصر الأموى والعباسى، أثبتت بجدارة للتاريخ مدى مرونة هذه الحضارة، ولكنها لم تلغ أبداً الآخر، حتى الفتوحات الإسلامية لم تلغ شخصية الأمم الداخلة فى الإسلام.

إن بعض المنصفين من عقلاء الغرب قد تنبه إلى أهمية الإسلام وعالميته ودوره فى إنقاذ البشرية من هذا المصير المشئوم يقول السير روبين كوك وزير الخارجية البريطانى إن عالم اليوم لايترك خياراً أو مفراً من ضرورة العيش معاً والعمل متآذرين فى سلام ووئام وإن التحديات التى نواجهها هى تحديات عالمية والبعض يقول إن الغرب بحاجة إلى عدو بعد انتهاء الحرب الباردة وإن الإسلام هو العدو الجديد الذى سيأخذ

مكان الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى القديم كما يقولون إن صراع الحضارات قادم لامفر منه، وأنا أقول إنهم مخطئون بل مخطأون خطأ فادحاً فنحن لسنا بحاجة إلى الإسلام كعدو بل نحن بحاجة إليه كصديق فقد تكون حضارتنا مختلفة وقد تكون أدياننا مختلفة ولكن هذا لايعنى أننا لانستطيع أن نتعايش معاً وأن ننسجم معا ليود احدنا الآخر لذلك علينا أن نتعاون معا لإفشال هذه الإدعاءات، فالقرآن الكريم فى سورة الحجرات الآية ١٢ يقول: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكركم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير**﴾.

والآية توضح أن نعمل معاً لتحسين التفاهم بيننا وتوضيح تلك الصور الخاطئة والمشوهة لبعضنا البعض وعلينا أن نتخلص من عدم الثقة التى تضر بالجميع[١].

وكلام الرجل واضح ولايحتاج إلى تعليق!! فهو يستشهد بالقرآن فى عالميته وتعاونه مع الآخر، فلماذا لانطلق من العالمية من منطلق عالمية الإسلام ، بما يحوى المصطلح من معنى ومغزى بدل هذا المصطلح «العولمة الذى يشى بابتلاع الآخر!!» وأو على حد تعبير الدكتور مصطفى محمود: «وأولى تلك الضلالات هى «العولمة» وهى كلمة مهذبة جدا للتبعية والأمركة وفقدان الهوية والخصوصية والذوبان فى الهلامية العالمية[٢].

---

(١) وزير الخارجية البريطانى، مقال بجريدة الأهرام، بتاريخ ١٦/ ١٠/١٩٩٨.

(٢) د. مصطفى محمود، مقال (البنت «السوبر» )!! جريدة الاهرام، بتاريخ ١٧/ ١٠/١٩٩٨.

ورغم خطورة المرحلة التى تمر بها الأمة الإسلامية، ومحاولة الغرب لتغيير ثوابت الأمة ومسخ شخصيتها، أدى أن الأمر لم يعد مجرد رفض «للعولمة» كمصطلح ومفهوم بقدر ما يرتبط الآن بثورة الاتصالات ووسائل الإعلام.

يقول الاستاذ أحمد حسين حامد فى مقاله ثورة الاتصال وإعادة هيكلة العالم: «إذا كان الأمر على هذا الحال، فماذا نحن فاعلون فى زمن غلبت محنتنا بأزمة التغريب التى تلفنا جميعاً؟ وفى الطريق الآن مئات القنوات الفضائية الأوربية والأمريكية التى ستبدأ إرسالها فى غضون سنوات حاملة إلينا مصالح أصحابها وقيمهم ومعارفهم وخبراتهم والتى لاتتفق فى أغلبها مع مجمل الحياة عندنا، مع ملاحظة أن المشاهد سيلتقط هذه القنوات فى زمن غير بعيد من خلال تليفزيونه العادى دون حاجة إلى الطبق الفضائى "Dish" أو المستقبل "Decoder" الذى يفك شفرة القمر الصناعى الذى يحمل هذه القنوات، ففى الطريق أيضا جهار التليفزيون الذى سيستقبل الأقمار الصناعية مباشرة دون وسائط وإذا أضفنا السينما الأجنبية ومحازيرها إلى التليفزيون وقنواته الفضائية فسنجد أن المواطن المصرى سيكون فى غدة القريب محاصراً من جميع الجهات باطار من القيم والمعارف المختلفة تماماً عن تراثه الدينى والاجتماعى، وعندها علينا أن نتوقع ظهور جيل جديد منقطع الجذور يستسهل كل المحظورات[١].

---

( ) حسين حامد، مقال ثورة الاتاصل وإعادة هيكلة العالم، جريدة الاهرام، بتاريخ ١٩٩٨/١١/٢.

إن الأمر جد ، وليس بالهزل ، ويحتاج إلى تضافر عقول الأمة في رسم استراتيجية جديدة تنطلق من عالمية الإسلام وتوازنه، لكى نتبوأ مكانتنا فى النظام العالمى الجديد.

# الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب

٩٩/٤٢٩٣

ترقيم دولى I.S.B.N

977-14-8383 - 0